احسان عبد القدوس

يا عزيزي كلنا لصوص



(١)

كان مرتضى السلامونى جالسا خلال الليل فى بيته الكائن وسط المزرعة فى قرية كفر الجبل وظلام الليل يلفه ولا يكشف عنه إلا ضوء ضئيل تطلقه لمبة جاز صغيرة موضوعة على حامل بعيدا عنه . . وهو تائه فى أفكاره التعيسة التى يحاول أن يهرب منها داخل دخان سجائره . . إن علبة السجائر لم يبق فيها إلا ثلاث سجائر . . يجب أن يحسب حسابه لكى تكفيه حتى الصباح . . إنه نادرا ما ينام قبل الفجر . . وسيطلب من عبد الرازق أن يشترى له سجائر . . إن عبد الرازق يثور ويتمرد كلما طلب منه أن يشترى شيئا . . ولكنه يستطيع دائما أن يصد تمرده . . صحيح أنه دفع له الكثير بحجة أن ما يدفعه تحت الحساب . . ولكنه يجب أن يدفع حتى لو لم يكن مطمئنا إلى نهاية هذا الحساب . . لقد كان منذ أكثر من عشرين سنة مجرد خفير على هذه المزرعة ، وأبو مرتضى هو الذى ارتقى به من خفير إلى خولى يدير المزرعة كلها . . ووصل مرتبه إلى خمسين جنيها فى الشهر بجانب

النهب الذى كان ينهبه فى كل عملية يقوم بها . . سواء اشترى السماد أو باع المحصول . . كان دائما ينصب . . وذلك علاوة على البيت الذى أقامه له أبو مرتضى بعد أن اشترى المزرعة وأقام فيه من يومها هو وأولاده ثم أزواج وزوجات أولاده وبناته . . كلهم أقاموا فى هذا البيت ، وأصبح يضم حتى أحفاده ، وكلهم يأكلون مما تنتجه أرض المزرعة ويربون البهائم والأوز والفراخ اعتمادا على خيرات أرض المزرعة . . وليس من حق عبد الرازق بعد كل هذا الخير الذى عاش ينعم فيه أن يثور ويتمرد على مطالب مرتضى . . إنه حتى بعد أن فرضت الحراسة على الأرض ثم بيعت ولم يبق له منها إلا عدة قراريط تحيط بالبيت ، ظل عبد الرازق هو الخولى للمالك الجديد وإن كان لا يستطيع أن ينكر فضل المالك القديم الذى قست عليه الدنيا حتى حبسته داخل هذا البيت . . إنه ليس مجرد بيت . . إنه « فيلا » أنيقة كلفت أباه يوم أقامها آلاف الجنيهات . . إن الفلاحين لا يزالون حتى اليوم يسمون هذا البيت باسم « السراى » . . أينما يقيم صاحب الأرض فهو يقيم فى سراى .

وابتسم مرتضى ابتسامة ليست ضعيفة فهو يكره أن يعبر عن ضعفه ولو بابتسامة . إنما أرادها ابتسامة ساخرة وإن كان قد أحس أنه يسخر بها من نفسه . . سيخفف عن عبد الرازق هذه المرة ولن يطلب منه أن يشترى له سجائر مالبورو . . إن العلبة وصل ثمنها إلى أكثر من ستين قرشا . . سيتنازل ويطلب سجائر كليوبترا . . العلبة قد لا تتجاوز أربعين قرشا . . وهو لا يعلم حتى اليوم أثمان السجائر . . إنه لم يتعود أن يشترى أبدا لنفسه . . كانت السكرتارية تشترى له وتشترى السجائر كخزين لا ينضب أبدا . . وبعد أن انتهت أيام السكرتارية فرض على عبد الرازق أن يشترى له . .

وسمع مرتضى وقع أقدام خفيفة عند مدخل البيت . . ومال برأسه من خلال حافة النافذة ورأى أشباح ثلاثة رجال يحاولون دخول البيت . . إن أحدهم يحمل بين يديه بندقية . . ماذا أتى بهؤلاء

الرجال . . ماذا يريدون . . لاشك أنهم لصوص جاءوا للسرقة . . وابتسم ابتسامة واسعة واسترد جلسته دون أن يتحرك . . الحمد لله . . . إنه لا يزال يحتفظ بالسمعة التى تغرى اللصوص . .

وظل جالسا فوق الأريكة وقد كوم ساقيه تحت جلبابه إلى أن استطاع الرجال الثلاثة أن يدخلوا البيت ، ومروا أمامه متسللين إلى غرف البيت الداخلية وأشباحهم تتأرجح أمام ضوء اللمبة الجاز ولا يرونه . .

وقال دون أن يتحرك من مكانه :

ـ مساء الخير يا رجاله . .

وتسمر الرجال فى أماكنهم من صدمة المفاجأة ، ورفع حامل البندقية بندقيته فى وجهه وهو يصيح فى صوت خفيض :

ـ إياك أن تتحرك . .

وقال مرتضى مبتسما :

ـ إنى لست فى حاجة إلى الحركة إلا للترحيب بكم . . أهلا وسهلا . .

ونظر الرجال بعضهم إلى بعض فى دهشة ثم قال واحد منهم يبدو أنه كبيرهم :

ـ هل تعرفنا حتى ترحب بنا ؟

وقال مرتضى فى هدوء :

ـ كل من يدخل بيتى فهو ضيف له الترحيب . . تفضلوا . . اجلسوا يا رجال . .

وقال كبيرهم فى حدة وهو يهز البندقية كأنه يهدد بها :

ـ أنت تعلم أننا لم نأت إلى هنا لنجلس فى ضيافتك . .

وقال مرتضى وهو يكتم سخريته :

— كل ما أتى له الضيف فهو مجاب .. وأنا تحت أمركم .. ماذا تريدون ؟

وقال الكبير :

— إننا نريد ما نريد .. إننا نبحث عن الرزق .. وكل ما نجده عندك حلال لنا ..

وقال مرتضى وهو يهز رأسه متنهدا :

— وياحسرتاه .. لن تجدوا ما يشرفنى أن تجدوه .. لم يعد فى هذا البيت ما يستحق أن تجدوه ، أو ما يستحق أن أقدمه لكم ..

وأشار الكبير برأسه إلى الرجلين الآخرين فتسللا إلى داخل البيت بينما ظل هو واقفا أمام مرتضى وسلاحه مشهور فى وجهه .. وقال مرتضى دون أن يأبه بالرجلين اللذين يطوفان ببقية الغرف وقد بدأت لهجته تبدو آمرة :

— اخفض سلاحك واجلس فأنت هنا فى أمان ..

وتردد الرجل برهة ثم خفض سلاحه إلى جانبه وهو لا يزال ممسكا به ، ثم جلس القرفصاء عند حافة الباب وهو ينقل عينيه بين مرتضى وبين تتبع رجليه وهما يطوفان داخل البيت .. وقال مرتضى فى صوت هادىء :

— هل أنتم من كفر الجبل ..

وقال الرجل كأنه ينهر مرتضى :

— لا .. لسنا من هذه الناحية .. لماذا تسأل ؟

وقال مرتضى مبتسما :

— إنى أسأل لأكتشف سر غبائكم .. لو كنتم من كفر الجبل لما شرفتمونى .. بل حتى لو سألتم لما أتعبتم أنفسكم .. إن الناصح

لا يقوم بأى عملية إلا بعد أن يسأل ويتقصى حتى يضمن التوفيق ..

وقال الرجل وكلامه يتعثر كأنه بدأ يحس بهيبة سيد الأرض ويحاول أن يتجرأ عليه :

— لقد سألنا قبل أن نبدأ .. وعلمنا أن عبد الرازق وأولاده وخفير الأرض يقضون الليل فى فرح زفاف ابن المرجوشى ، وأنك ستكون هنا وحدك ، وكنا ننتظر أن نجدك نائما ، وحتى لو كنت متيقظا فسلاحنا معنا ..

وقال مرتضى وهو يضحك ضحكة وقورا :

— حتى لو كان عبد الرازق هنا وأولاده والخفير لما كان وجودهم يمكن أن يحرمكم من زيارتى .. إن عبد الرازق لم يعد يحمل مسئوليتى ولا مسئولية هذا البيت .. وكنتم فى وجوده ستجدوننى وأنا وحدى .. ومصيبتكم أنكم لم تسألوا ماذا أملك فى هذا البيت لتخرجوا به ..

وقال الرجل وهو ينظر الى مرتضى كأنه متعجب من كلامه :

— ماذا تملك ؟

وقال مرتضى كأنه يسخر من نفسه :

— لا شىء ..

وصاح الرجل كأنه يتهمه بالكذب :

— كيف لا تملك شيئا .. إنك صاحب الأرض ونحن نعلم أنك تقيم هنا ولابد أن كل ما نملكه معك ..

وقال مرتضى وهو يخرج سيجارة ويشعلها :

— قلت لك أنكم لم تسألوا .. وأنكم اغبياء لأنكم بدأتم العملية دون أن تسألوا .. ولو سألتم لعرفتم أنى لم أعد أملك الأرض .. وقد تركوا لى هذا البيت لأقيم فيه حتى أجد بيتاً آخر ..

ودخل الرجلان وهما يحملان بذلتين وعدة أحذية ألقوا بها على الأرض . . وقال أحدهما فى قرف :

ـ لم نجد شيئا . . حتى المطبخ ليس فيه حلة . .

وقال رئيسهما فى ثورة وسخط وهو يقف كأنه صعق :

ـ هل كسرتما الدواليب ؟

وقال مرتضى مبتسما :

ـ الدواليب كلها مفتوحة . . اجلسوا يا رجال . . لى معكم كلام . .

وقال رئيسهم وعيناه مليئتان بنظرات الشك :

ـ ياسعادة البيه . . أى كلام يمكن أن تقوله لنا . . إننا غلابة لا نعلو الى شرف كلامك . .

وقال مرتضى وهو يبتسم ابتسامة واسعة يطمئنهم بها :

ـ اجلس ياريس . . سنكون أصدقاء بإذن الله . . ما اسمك ؟

وقال الرجل محتدا :

ـ ماذا تريد من اسمى ؟

وقال مرتضى من خلال ابتسامته الواسعة :

ـ نتعارف ياريس . . ولندع الاسم الآن . . اجلس . .

وعاد الرجل ينظر إليه نظرات مترددة حائرة ، ثم كأنه جازف بنفسه وجلس القرفصاء على الأرض وأشار للرجلين بأن يجلسا وقال متكلا على الله :

ـ اسمى محروس . .

وقال مرتضى مرحبا :

ـ أهلا بالريس محروس . . أعتقد أنك مازلت جديدا فى الكار رغم شطارتك . .

وقال محروس وهو يتنهد كأنه يتحسر :

ـ والله لم يكن على بالى هذا الكار . . الخير كان كثيرا ولكن أولاد الحرام لم يرحموا . . كل شىء ضاع فماذا أفعل . . لم أجد إلا هذا الكار . . لم أجد إلا أن أسرق . . . السرقة للمحتاج حلال . .

وقال مرتضى ساهما :

ـ العالم كله سرقات . . اللى فوق يسرق اللى تحت . . والشاطر يسرق البليد . . وبذلك سأساعدكم وأدلكم على ما يحقق لكم الرخاء . .

وقال محروس فى دهشة :

ـ لماذا تساعدنا يا سعادة البيه ؟

وقال محروس :

ـ لأنكم غلابة وأنا غلبان . . وسنمشى معا فى طريق الغلابة . .

وقال محروس وهو لا يستطيع أن يصدق :

ـ إننا لصوص يا سعادة البيه . . بصراحة نحن لصوص . . وأنت يا سعادة البيه هل تريد أن تكون لصا . .

وقال مرتضى وكأنه يحادث نفسه :

ـ هناك لصوص قطاع عام ولصوص قطاع خاص . . وأنا أفضل أن أكون فى القطاع الخاص . . أعمال حرة . . وكلى أمل فيكم . . وقد خاب أملكم فى بيتى ولكنى سأعوضكم من بيوت لن يخيب أملكم فيها . .

وقال محروس وهو لا يزال غارقا فى دهشته :

— والله إنى لم أفهم شيئا . .

وصاح مرتضى فى لهجة آمرة :

— محروس . . هل تريد أن تسمع الكلام أو لا تريد . . أنت حر خذ رجالك واخرج على بركة الله . .

وقال محروس مستسلما :

— لا . . نسمع يا سعادة البيه . .

وسكت مرتضى فترة غارقا فى أفكاره وقال وهو لا يزال تائها عنهم :

— كان الواجب أن أقدم لكم الشاى ولكن الشاى عند عبد الرازق وتقدمه لى ابنته فهيمة . .

ثم كأنه انتهى من اتخاذ قراره فأفاق من أفكاره وقال لمحروس فى لهجة جادة كأنه بدأ فى وضع الخطة :

— هل أنت من شبرامنت . .

وقال محروس بسرعة :

— لا . . أنا من برقاش . . الناحية التانية من الترعة . . ولكنى أعرف شبرامنت . .

وقال مرتضى مبتسما :

— لو أنك ابتعدت عن بيتى مشوارا لوجدت عند مشارف شبرامنت بيتا لو دخلته لخرجت منه وأنت تحمل كنوز الأرض . . إنه بيت عبد الله بهنس . .

وقال محروس وهو يحلق فى مرتضى كأنه يحاول أن يفهمه :

— إننا نسمع عنه . . إنه من أغنى الأغنياء . . ولا شك أن حول بيته حراسة تخلع العين . .

وقال مرتضى ساخرا :

— إنه رجل مهم فعلا . . إنه يحس فى نفسه كأنه أقوى من الحكومة . . ولكن ليس حول بيته فى شبرامنت حراسة . . إنى أعرف كل شىء . . ليس عنده إلا خفير واحد . . والخفير هو ابن عم عبد المحسن الخفير فى أرضى . . وهو يقضى معظم الليالى مع ابن عمه هنا . . إن عبد الله بهنس يعتمد ألا يضع حرسا حول بيته حتى لا يلفت نظر الحكام إلى أن فى هذا البيت ما يخاف عليه . . فى حين أنه يحتفظ فى هذا البيت بأغلى ما يملك . . الذهب والماس وخصوصا الأوراق التى تثبت كل بلاويه . . هل تجيدون فتح الخزانة . .

وقال محروس :

— لا . .

وقال أحد رجاله :

— إن خليل فى برقاش يستطيع فتح أى خزانة . .

وقال مرتضى بسرعة :

— لا . . لا تدخلوا غريبا بينكم أنتم الثلاثة . . إنها خزانة صغيرة تجدونها فى دولاب بحجرة صغيرة فى الدور الثانى ملتصقة بحجرة النوم . . إذا لم تستطيعوا فتحها تستطيعون حملها معكم . . وحاولوا أن تفتحوها بعد أن تخرجوا بها فاذا لم تستطيعوا فإنى أستطيع أن أفتحها لكم . .

ونظر إليه محروس فى شك ثم قال :

— لامؤاخذة يا سعادة البيه . . إننا نصدقك . .ولكن لو تمت العملية بتوفيق الله فكيف نرد الجميل لسيادتك . . أقصد بصراحة هل يكون لكل منا نصيب . .

وقال مرتضى مبتسما :

ـ قد لا يكون لى نصيب . . قد لا تسألون عنى ولا أراكم بعدها . ولكن . . إذا كنتم رجالا يعتمد عليكم كما أعتقد فكل شىء هو لكم ، ومن حقكم ، وأنا لا أريد شيئا الا الأوراق التى قد توجد فى الخزانة الصغيرة . . إنها أوراق لا تهمكم ولكنها تهمنى . . تهمنى جدا . .

وقال محروس :

ـ اطمئن يا سعادة البيه . . الرجل يحفظ الجميل ونحن رجال . . ولكن اعذرنا . . كيف نطمئن ؟

وقال مرتضى مندهشا :

ـ تطمئنون على ماذا ؟

وقال محروس فى لهجة فلاحى متواضعة :

ـ لامؤاخذة يا سعادة البيه . . أنت لست منا . . وقد يحدث لا قدر الله أن تبلغ عنا . . وقد يظن أحد هذين الرجلين . . لا أنا . . أن سيادتك قد تفكر فى الرد علينا بعد دخولنا بيتك بلا دعوة فتبلغ عنا . . اعذرنا يا بيه . . الشك واجب .

وقال مرتضى محتدا :

ـ وماذا يطمئننى أنا . . إنكم اذا فشلت العملية وقبض عليكم فقطعا ستبلغون عنى وتكشفون ما بيننا من أسرار . . ومن يدرى ربما خرجتم من هنا لتتهمونى أمام البوليس بتهمة التحريض . . الله أعلم فأنا لا أعرفكم ولا أنتم تعرفوننى . . ولكنى أجازف بكم وأتوكل على الله فاسمعوا كلامى وتوكلوا أنتم أيضا على الله . . هل ستقومون بهذه العملية أم لا ؟

وقال محروس وهو ساهم :

ـ والله المسألة فى حاجة إلى تفكير . . ويجب أن أمر على شبرامنت مرة ومرتين حتى أرى وأفكر قبل أن أقرر التوكل على الله . .

وقال مرتضى فى لهجة القائد :

ـ إذا قررت فلا تقم بالعملية إلا فى ليل يوم الاثنين أو الثلاثاء أو الأربعاء . . أما باقى أيام الأسبوع فالبيت ليس هادئا . . فإما أن يكون بهنس قد جاء إليه ، وإما أن يكون قد أرسل الخدم ليستعدوا لاستقباله . . والليلة التى تقررون فيها التوكل على الله أستطيع أن أساعدكم . .

وقال محروس فى لهفة :

ـ كيف تساعدنا ؟

وقال مرتضى بحزم :

ـ سأجعل الواد عبد المحسن ليلتها يدعو ابن عمه خفير بيت بهنس إلى هنا ليخلو لكم الجو . . ولكن كيف أعرف متى ستقومون بالعملية ؟

وقال محروس وهو تائه فى أفكاره :

ـ سنمر عليك ليلتها ونحن فى طريقنا إلى شبرامنت . .

وصاح مرتضى كأنه ينهره :

ـ لا . . إياك . . إنى سأجلس كل صباح خارج البيت على شاطىء الترعة ، ويوم تقررون أن تقوموا بالعملية تمر أمامى على الترعة فى الصباح ولا تحادثنى ولا حتى تقرئنى السلام . . وسأفهم بمجرد مرورك أن العملية ستتم الليلة . . وبعد أن تتم العملية لا ترينى وجهك إلا بعدها بأسبوع . . وإذا تمت ليل الأربعاء فسأنتظرك ليل الأربعاء التالى فى نفس الموعد الذى شرفتمونى فيه هذه الليلة . .

وقال محروس والحيرة تبدو عليه :

— تحت أمرك يا سعادة البيه . . عن إذنك . . سأنصرف لأفكر أعانني الله . . إنى مازلت حائرا ولم تخطر على بالى مثل هذه العملية . . هل يمكن أن ندخل بيت بهنس بيه بجلالة قدره ، هدانا الله . .

وقام محروس وقام معه الرجلان وقد بدأوا يجمعون قطع الثياب والجزم التى حملوها من الغرف الداخلية . .

وقال لهم محروس ناظرا :

— اتركوها يا أولاد . . لا يصح . . إنها حاجات سعادة البيه . .

وقال مرتضى ضاحكا :

— إنها لا تساوى شيئا . . اخصموا ثمنها من نصيبى . . واحترس يا محروس ، فقد يكون عبد الرازق عائدا من الفرح . .

وقال محروس وهو يخبط بكفه على بندقيته والرجلان وراءه :

— ربنا يستر يا سعادة البيه . . سلام عليكم . .

(٢)

جلس مرتضى ساهماً بعد أن خرج الرجال الثلاثة . . إنه لا يدرى كيف خطر على باله أن يرسم هذه الخطة مع هؤلاء اللصوص . . إنه خاطر قفز إلى ذهنه فجأة . . ولم يسبق له أن حلم به . . لم يحلم ولم يتمن أبداً أن يكون لصاً . . سيكون زعيم عصابة . . سيجمع بين يديه قوة يستطيع أن يخرج بها من الفقر ويفرض إرادته على العالم . . وسيبدأ بأن يشهر قوته على عبد الله بهنس . . إنه يكره هذا البهنس . . إنه إنسان مغرور قذر ، ولكن لاشك أنه إنسان شاطر عبقرى . . إنه تعدى الخمسين من عمره . . وهو من صغره ومنذ تخرج فى كلية التجارة وهو يعمل فى المقاولات . . وقد استطاع فى أقل من خمس سنوات أن يصبح مليونيراً . . قبل سنوات الانفتاح . . انفتاح خزائن الدولة للعباقرة أصحاب الأيدى الطويلة . . وربما كان سر شطارة بهنس هو أنه لا يبخل على رجال الدولة . . إنه بصراحة يتقاسم معهم الأرباح . . عشرون فى المائة للوزير أو لرئيس مجلس الادارة . . وعشرة فى المائة لوكيل الوزارة أو العضو المنتدب . . وتتدرج النسبة بين كل من يعاونونه فى توقيع الأوراق . . إنها تسمى رشاوى ولكن بهنس يؤمن بأنه رجل عادل . . هو يكسب وهم يكسبون . . بل إنه حريص أيضا على الترفيه عنهم . . لقد اشترى الأرض القريبة عند مشارف شبرامنت وبنى عليها هذا البيت حتى يستطيع فيه أن يرفه عن أصدقائه الذين يوقعون

له الأوراق . . كل ليلة جمعة تقام سهرة تجمع الكثيرات من نجوم السينما والفن وسيدات لهن صيت خاص فى مجتمع رجال الأعمال ، ويدعـو معهن أصحـاب التـوقيعـات الرسمية للترفيه عنهم إلى آخر متطلبات الترفيه . . ولكن بهنس حريص على احترام نفسه . . حتى ليالى الترفيه يقدمها هادئة . . لا يقدم فيها فرقاً موسيقية كاملة ، ولا يطلق الأنـوار ولا يبيح الأصوات العالية . . ومدعووه دائما عددهم قليل . . كل صديق وله دوره ، ولا يجمعهم كلهم فى ليلة واحدة . . حتى عنـدمـا دعا فى إحدى الليالى المطربة المشهورة عدالات ورآها الفلاحون تدخل وذاع الخبر وتجمع الكثيرون حول البيت ليسمعوها تغنى . . ولكنهم لم يسمعـوا شيئـا . . إن تقاليد بهنس تفرض على عدالات أن تغنى فى صوت خفيض وبلا فرقة موسيقية كاملة . . فقط لامتاع الأصدقاء أصحاب التوقيعات . . سيدة واحدة لم يرها أحد فى هذا البيت . . وهى زوجة بهنس . . وأولاده أيضاً لم يرهم أحد . . إنه بيت خاص ببهنس وحده . .

وكـان مرتضى يسمـع الكثير عن حياة عبد الله بهنس فى هذا البيت . . وكان يسلط خفيره عبد المحسن ليسأل ابن عمه عن كل ما فى البيت . . وعن طريق الخفير عرف سر هذه الخزانة الصغيرة التى يحتفظ بها بهنس . . وقدر بينه وبين نفسه أنها لابد أن تكون خزانة يحتفظ فيها بهنس بأوراق خاصة لا يستطيع أن يحتفظ بها إلا فى ركن الأسرار . .

وقـد خطر على بال مرتضى أن يتعرف ببهنس حتى لو قدم له نفسه . . ربما استطاع أن يفتح له طريقا ينقذه من فقره . . وقد تجرأ مرة وذهب لزيارته فى بيته القريب صباح يوم الجمعة . . كان يريد أن يقدم نفسه بحكم الجيرة . . إنهما جاران على ترعة المنصورية . . ولكن بهنس لطعـه مدة طويلة قبل أن يخرج إليه واستقبله فى برود . . ولم يستطع مرتضى أن يجد موضوعا بينهما يستحق استمرار الحديث . . لقد استقبله بهنس بأنف شامخ ونفس ضيق كأنه مضطر لاستقباله كما

يستقبل أى شحاذ . . وبعدها لم يرد له بهنس الزيارة ولم يدعه إلى بيته ولو حول فنجان شاى رغم أنه يعلم أن مرتضى له قيمة . . وإن كانت قيمة سابقة . . على كل حال إن عبقرية بهنس لا شك أنها ولدت معه وأنه ورثها من أبيه . . إن أباه كان أيضاً مقاولا كبيراً . .

وابتسم مرتضى بينه وبين نفسه . . لعل موهبته التى قد يكون ورثها عن أبيه هى موهبة السرقة . . لقد كان أبوه لصاً . . لا تقل هذا الكلام يا مرتضى . . إن أباه كان من الضباط ولو أنه لم يعرف أنه من الضباط الأحرار إلا بعد الثورة بشهور طويلة . . ولم يكن يعرف ماذا يفعل أبوه بعد الثورة ولا ما هى المهمة التى يقوم بها . . إلى أن فوجىء وهو فى العاشرة من عمره بطاقم من الأثاث المذهب الضخم يدخل بيتهم ويرص فى حجرة الجلوس رغم أنها كانت أضيق من أن تتسع له . . وسأل أباه مندهشا :

ــ هل اشتريناه . .

وقال أبوه ضاحكاً فى زهو :

ــ هذه هى المقاعد التى كان يجلس عليها الملك . . نحن الآن الملوك . . كل ما كان للملك أصبح لنا . . نحن رجال الثورة . . نحن الشعب . .

ولم يفهم مرتضى أيامها شيئا ، ولكن كل شىء يتغير حوله حتى بدأ يحس كأنه فعلا من أبناء الملوك . . لقد انتقلوا ليقيموا فى فيلا فى مصر الجـديدة كانت ملكـاً لأحـد البـاشوات ثم وضعت تحت الحراسة . . وقال له أبوه أنهم اشتروا هذه الفيلا من الحراسة . . لقد عرف بعدها كم دفعوا ثمنا لها . . دفعوا ألف جنيه . . ألف واحدة ثمنا لكل هذا البناء . . وبعدها . . اشترى والده أرض كفر الجبل . ثلاثون فداناً . . لقد كانت تحت الحراسة أيضا وباعتها الحراسة لهم بمائة جنيه للفـدان . . وبالتقسيط . . وهو يعلم أن أباه لم يدفع إلا القسط الأول . . ثم لم يطالبه أحد بأن يدفع . . وأبوه يسافر كثيرا إلى الخارج ، وعندما يسافر يحمل حقيبة فى يده وقد رأى مرتضى ما فى هذه

الحقيبة . . عشرات الألوف من الدولارات . . وهو لم يعد يسأل . .
إنهم ملوك لهم كل ما للملوك . . وهو نفسه ملك . . إنه يملك كل
شىء . . لقد كانت عنده سيارة سبور خاصة وهو لم يتم بعد السادسة
عشرة . . وليس من شيمة أولاد الملوك أن يذاكروا الدروس كما يفعل
الطلبة العاديون . . ولذلك لم يكن يذاكر دروسه . . ورغم ذلك كان
ينجح فى كل الامتحانات . . كان أبوه يحثه على المذاكرة ويصرخ فى
وجهه ليذاكر . . ولكنه لم يكن يذاكر وأبوه كان حريصا على
نجاحه . . وفى كل امتحان كان يجد أستاذا يقف بجانبه ويعطيه كل
ما يتطلبه النجاح . . حتى التوجيهية نالها بفضل الأستاذ الذى يقف
بجانبه . . . وقد نالها بتقدير جيد والتحق بكلية الهندسة . . ورسب
فى العام الأول . . إن أباه نسى فى هذا العام أن يضمن له النجاح . .
. . وقد جاءه بعد إعلان رسوبه وطلب منه أن يحول إلى كلية
الزراعة . . ودهش مرتضى . . لماذا . . إنه يفضل أن يحمل لقب
مهندس . . ولكن أباه أصر على أن يحول للزراعة . . وحجته أنه لن
يستطيع أن يغطى نفسه بعد أن يحمل شهادة الهندسة . . سيكتشف
كل الناس أنه ليس مهندساً وأنه لا يستحق الشهادة التى يحملها . .
الشهادة التى يمنحها له أبوه . . أما إذا حمل شهادة الزراعة فمن
السهل أن يغطى نفسه . . إن الزراعة عالم واسع لأى كلام . . وتخرج
فى كلية الزراعة يحمل شهادة مهندس زراعى . ولم يكتف أبوه . . لقد
أرسله بعدها إلى موسكو لينال شهادة الدكتوراه . . كان أبوه من أقرب
أصدقاء موسكو . وشهادة موسكو كان لها شأن كبير فى مصر . . إن
شهادة من موسكو معناها أنك تحمل مفتاح كل شىء فى مصر . . وقد
قضى فى موسكو عامين فى منتهى الروعة . . لقد كانت باتريشيا امرأة
ممتعة لذيذة عاشت فى خدمته طوال العامين تنثر أمامه بذور الجنة . .
ودهش عندما استطاع أبوه أن يمنحه أيضاً شهادة دكتوراه من
موسكو . . وقد عاد إلى مصر ، وهو أقوى إحساسا بأنه ابن ملك . .
وصحيح أنه ليس ابن الملك الوحيد فكثيرون كانوا يعتبرون أنفسهم
ملوكاً وهو واحد منهم . . ابن ملك يملك كل شىء لا فى مصر وحدها

ولكن فى موسكو أيضا . . يكفى أن يطلب من موسكو فتأتيه شهادة
الدكتوراه صاغرة . . ولعل موسكو تتعمد توزيع الشهادات على
الطلبة الأجانب دون أن يصلوا إلى المستوى العلمى الذى يستحق هذه
الشهادة لأنهم لا يريدون أن يصل الأجانب إلى أى مستوى . . العلم
مقصور على أبنائهم وحدهم . . أبناء روسيا . .

ولم يتحمس مرتضى فى البحث عن عمل بعد عودته . . لا يهمه
العمل إنما يهمه المنصب . . وأصحاب المناصب لا يعملون . . وعلى
كل حال فان منصبه دائماً هو منصب ابن عبد السلام السلامونى . .
إنه منصب خطير . .

وقبل أن يفكر أبوه فى أن يبحث له عن عمل بحث له عن
عروسة . . وقد اختار له ابنة عائلة المانسترلى . . إنهم لا يزالون
يعيشون العهد القديم . . ويتشرفون بمصاهرة العائلات التى كانت
تملك وتحكم قبل الثورة . . من كان يصدق زمان أن ابن عبد السلام
السلامونى يمكن أن يتزوج ابنة المانسترلى . . إن مرتضى نفسه أحس
بالزهو والفخر وهو يتزوج نسليار المانسترلى . . إنها بيضاء شقراء
جميلة ، وأمها جلفدان هانم لاتزال كما هى . . متعنطزة متكبرة تحتفظ
بكل مظاهر عزها القديم . . ولم تكن فرحة بزواج ابنتها ، وكان يبدو
عليها كأنها تنازلت وقبلت أن تزوج ابنتها من أحد أبناء الطبقة الحاكمة
الجديدة . . ولم يستطع مرتضى أن يتحمل حياته مع نسليار . . لا
يستطيع أن يتحمل هذا البرود وهذه القنزحة وهذه التقاليد المتعبة . .
ولكنه ظل حريصاً على الاحتفاظ بها حرصه على الاحتفاظ بالشهادات
التى منحها له أبوه . . لقد منحه أيضاً نسليار استكمالا لمظاهر
الملك . . ولكنه عرف نجمة السينما والتليفزيون والاذاعة والمسرح . .
بهيرة . . إن بهيرة تعطيه أكثر مما كانت تعطيه باتريشيا فى موسكو ،
وبذور الجنة التى تنثرها حوله تعطيه متعة أكبر . . صحيح أن مطالبها
كثيرة ولكنه لا يبخل عليها أبدا . . وقد تكون زوجته نسليار قد عرفت
علاقته ببهيرة ولكن لا هى ولا أمها نطقا بكلمة . .

وفجأة انقلبت الدنيا . .

لقد طرد أبوه من دنيا الملوك . . قبض عليه وفرضت الحراسة عليه وعلى أولاده وقدم للمحاكمة . . ولم يفهم مرتضى ما حدث ، إنه طول عمره لا يحاول أن يفهم الأسرار التى تحيط بأبيه . . بل لم يحاول أن يفهم ماذا يعمل أبوه وما هى مسئولياته . . يكفيه أنه ابن السلاموني وأنه يستطيع أن يعطى نفسه كل ما يريد . .

★★★

وبعد أسابيع عادوا بأبيه من السجن وهو مريض . . إنه قطعاً لم يتحمل الصدمة . . لم يتحمل عزله من دنيا الملوك . . ولم يتحمل المرض أيضا . . مات . . وشيع جثمانه فى جنازة صامتة ليس فيها مشيعون وليس فيها دموع ولا أى مظهر من المظاهر الرسمية . . كأن التعليمات كانت تقضى بأن يدفن فى السر . . والحمد لله . . لم تكن المقبرة الفخمة التى أقامها أبوه فى قرافة المجاورين قد وضعت تحت الحراسة . . ولكن الفيلا التى فى مصر الجديدة كانت قد أصبحت تحت الحراسة ، وكانوا قد تركوها لهم ليقيموا فيها قبل أن يموت أبوه ولكنهم بعد أن مات طردوهم منها . . وذهبت أمه وأقامت عند ابنتها المتزوجة . . أما هو فقد ظل يسعى ويتوسل إلى أن سمحوا له بأن يقيم فى البيت الذى يقع على أرض كفر الجبل . . ولكن زوجته نسليار لا تريد أن تعيش معه فى هذا البيت . . وقد طلب أن يعيش هو معها فى بيت أمها . . ولكن أمها رفضت . . إنها تطلب الطلاق . . إن الناس كلهم قد طلقوه . . الدنيا قد طلقته . . والملك عندما يعزل تبقى له شخصية مميزة . . شخصية الملك المعزول . . وماذا يفعل . . ربما لأنه لم يعد يملك شيئا . . ولا مليما . . وإن كانت الحراسة قد غفلت عن بضع مئات من الجنيهات كان يحتفظ بها فى دولابه . . وكان يعلم ومتأكدا أن أباه كان يحتفظ بمبالغ ضخمة فى الخارج . . ولكن أباه كان ضنينا عليه ولا يثق به حتى أنه لم يفسر له سر هذه الأموال

التى هربها إلى الخارج . . ولم يقل له أبدا فى أى بنك من بنوك أوربا يحتفظ بها ، ولا الرقم السرى الذى يحتفظ بها تحته . . وقد فكر فى البحث عن وسيلة يصل بها إلى هذه الأموال . . ولكن . . إنه ممنوع من السفر إلى الخارج . . وحتى إذا سافر فإن الدولة ستسلط عليه مخابراتها حتى تكتشف ما يبحث عنه . .

وظل يعيش ينفق الملاليم من الأموال التى بقيت له . . ولا أحد يريد أن يعينه ولا حتى يقبل أن يراه . . ربما الناس بعد أن مات أبوه اعتبروا أنه هو أيضا قد مات . . وقد طلق زوجته نسليار . . طلقها وهو يتمنى أن يقتلها هى وأمها . . وقد أصر على أن يأخذ ثمن الطلاق . . أخذ من حماته ألفين من الجنيهات بعد أن اكتشفت أن ليس من حق الحراسة أن تفرض عليه هذا الطلاق . . أما الفنانة بهيرة فهى إنسانة . . كان من حقها أن تبحث عن رجل آخر بعد أن أصبح عاجزا عن أن يشبع طموحها . . ولكنها كانت رقيقة . . كانت ترد عليه فى التليفون بتهليل وترحاب . . بل إنها دعته يوماً لتناول الغداء فى بيتها . . صحيح أنها لم تنثر حوله بذور الجنة . . بذورا لمتعة واللذة ، ولكنها كانت رقيقة مشفقة على ما وصل إليه حاله . . وقد جاءت إليه بسوار من الذهب مرصع بفص ثمين من الماس . . وقالت ضاحكة :

— هل تذكر هذا السوار . . لقد كان هدية منك فى عيد ميلادى . . إنه جميل . . رائع . . ولكنه موضة قديمة . . خذه واشتر لى هدية أخرى فى عيد ميلادى القادم . .

وقد فهم . . إنها تريد أن تعينه على حاله . . وأخذ منها السوار وقال كأنه متأكد أنه يوماً سيصل إلى ما يريد :

— ثقى أن الهدية القادمة ستكون أجمل وأغلى . . إنك تستحقين أجمل وأغلى ما فى الدنيا . .

والسنوات تمر . .

وكل شيء يتغير . .

وقد ألغيت الحراسة . . ألغيت حتى عن أرضه فى كفر الجبل . . ولكنه لا يستطيع أن يسترد الأرض . . لقد باعتها الحراسة منذ استولت عليها إلى أحد أصحاب النفوذ أيامها . . ربما باعتها بنفس الثمن البخس الذى اشتراها به أبوه عندما كان من أصحاب النفوذ . . وليس من حق الحراسة أن تسترد ما بيع ولكنهم وعدوه بأن يدفعوا له ثمن البيع . . وقد مر الآن عام وشهور ولم يدفعوا شيئاً . . وقد حاول أن يستفيد من العصر الجديد . . عصر الانفتاح . . حاول أن يجد عملا أو يصل إلى شيء . . ولكن لا شيء . . إن أباه أورثه كل نقمة الناس عليه . . وأورثه ماضياً ملوثاً حتى أصبح الناس يعتبرونه كأنه مات كما مات أبوه . . وقد قضى هذه السنوات وهو أحياناً يلوم أباه لأنه أورثه هذه النقمة . . وأحيانا يثور عليه ويكرهه ويكره الناس كلهم . .

وقد أصبح يعيش فى انتظار المستحيل معتمداً على عبد الرازق فى إمداده بالستر . . وعبد الرازق يستسلم لا لمجرد عرفانه بالفضل ولكن لأنه يعتقد أن مرتضى سيسترد ثمن الأرض كما يسمع . .

لا يا عبد الرازق . . لم أعد أنتظر ثمن الأرض . ولكنى سأرد حقك إليك . . سترى . . سأكون إنسانا خطيرا . . . سأعود ملكاً ابن ملك .

★★★

وكان ضوء الفجر قد هل . .

ودخلت عليه فهيمة ابنة عبد الرازق تحمل له صينية عليها أبريق الشاى وقطع من الجبن القريش ورغيف من الخبز المرحرح .

واستقبلها بلمعة فى عينيه . ثم أطفأ لمعة عينيه وهو يبتسم ابتسامة

متحسرة كأنه يشفق على نفسه . . لقد بلغ به الحال إلى حد أن أصبح يتمنى فهيمة . .

ولكن مالها فهيمة ابنة عبد الرازق . .

إنها لاشك أبرك وأنظف من أى امرأة مرت فى حياته . .

وشرب الشاى وألقى فى فمه بقطعة جبن وقضمة من العيش المرحرح ، ثم نادى على فهيمة التى ابتعدت تسوى ما فى البيت . وصاح بها فى لهجة السيد :

— احملى هذا الكرسى يابت وتعالى ورائى . .

ووضع الكرسى على حافة الترعة . .

وجلس مبحلقاً فى انتظار أن يمر محروس أمامه . .

(٣)

فى كل صباح كانت فهيمة تحمل المقعد وتضعه أمام مدخل البيت على شاطىء الترعة بعد أن يكون مرتضى قد انتهى من تناول الشاى والافطار الذى حملته له من بيت أبيها . . ويكون مرتضى قد قاوم الاشعاع الذى ينطلق من عينيه وهما تتبعان فهيمة ثم يقوم ويجلس أمام الترعة فى انتظار أن يمر أمامه محروس . .

وقد مرت أيام كثيرة ولم يمر محروس . . هل عدل عن القيام بالعملية ؟ . . ربما كان لايزال يتقصى ويستكشف كل ما يحيط ببيت عبد الله بهنس قبل أن يقدم على السطو عليه .

وأحيانا كان عبد الرازق الخولى يأتى بمقعد آخر ويجلس على شاطىء الترعة بجانب مرتضى . . إنه رغم سخطه على مرتضى ومعاناته أمام كل قرش يدفعه له إلا أنه فعلا يحس بفضله عليه . . فضل أبيه . . إنه لولا عبد السلام السلامونى لما كان فى هذه الحال يتحكم فى ثلاثين فدانا مزدحمة بأشجار المانجو والبرتقال ، ويزرع فيها أصناف الخضر التى يحتاج إليها ويطلق فيها أصناف البط والفراخ ، بل إنه أقام برج حمام يعتبر ملكه الخاص دون أن يستأذن فى إقامته صاحب الأرض . . إنه هو فى الواقع صاحب الأرض . . بل إنه اشترى فعلا خمسة أفدنة فى المنطقة القريبة جمع ثمنها من خيرات أرض السلامونى . . وعبد السلام السلامونى ، الله يرحمه ، كما ترك له

الأرض ترك له أيضاً ابنه مرتضى . . إن مرتضى يعيش اليوم على ما يتفضل به عليه . . يعيش من خيره هو . . بعد أن كان هو الذى يعيش من خير السلامونى . . إنه الآن هو السيد وابن السلامونى هو المتطفل . . هو الذى يشحذ رزقه . . ورغم ذلك فعبد الرازق الخولى حريص على ألا تفضحه أحاسيسه . . حريص على أن يحتفظ لمرتضى بمكانته ومظاهر العز القديم . . عز سعادة البيه ابن السلامونى . . وإن كان لا يجلس بجانبه إلا على الأرض . . عبد المحسن الخفير هو الذى يجلس على الأرض سواء كان بجانب مرتضى أو بجانب عبد الرازق . . وعبد المحسن الخفير لم يتغير منذ جاء إلى الأرض وأنه يعيش من خيرات عبد الرازق . . كأنه لا يعلم شيئا ، لا يعلم أن سعادة البيه لم يعد صاحب الأرض وأنه يعيش من خيرات عبد الرازق . . كأنه لايزال يعتبر نفسه خفير سعادة البيه ، وإن كان عبد الرازق قد أمره أن يقضى الليل فى الخص المقام عند مدخل الأرض بعيداً عن سراى سعادة البيه . . والفلاحون يمرون أمام مرتضى وهو يجلس على شاطىء الترعة ، ويرفعون أيديهم بالتحية وأعينهم مكسورة كعادتهم كلما مروا على صاحب الأرض . . ولكن الذى يركب حماراً منهم أو يركب دراجة لا ينزل عن حماره أو دراجته وهو يمر أمامه كما كانت عادتهم وكما هى عادة الفلاحين فى احترام صاحب الأرض . .

ومر أسبوع كامل دون أن يبدو محروس . . وفى الأسبوع الثانى وفى صباح يوم الثلاثاء مر محروس على شاطىء الترعة أمام مرتضى . . وألقى التحية كما يلقيها أى غريب . . دون أن يلتفت إلى الجالسين . . ورد التحية الخفير عبد المحسن الذى كان جالساً على الأرض . . ولم يرد مرتضى التحية . . إن سعادة البيه لا يتنازل ويرد تحية فلاح غريب يمر أمامه . . ولكنه ابتسم مستريحاً بينه وبين نفسه . . سيقوم محروس بعملية السطو الليلة . . وقد اتبع نصائحه واختار ليل يوم الثلاثاء كما أوصاه . . الاثنين أو الثلاثاء أو الأربعاء وربنا يستر . .

وانتظر مرتضى إلى أن ابتعد محروس ثم التفت إلى الخفير عبد المحسن قائلا :

ــ ما هى أخبار بهنس بيه . . ماذا سمعت عن أحواله . . ؟

وقال عبد المحسن وهو يطأطىء رأسه احتراما :

ــ والله يا سعادة البيه مضت أيام لم أسمع فيها شيئا . .

وقال مرتضى فى لهجة السيد :

ــ لماذا لا تدعو ابن عمك مدبولى الليلة يتناول معنا الشاى ويحكى لنا ونسمع الأخبار . .

وقال عبد المحسن متأثرا :

ــ حاضر يا سعادة البيه . . سأقول له . .

وقال مرتضى ناهرا :

ــ لا يكفى أن تقول له . . يجب أن يأتى . . أريد أن أسمع الأخبار . .

وقال عبد المحسن وهو يقف منطورا :

ــ حاضر يا سعادة البيه . . أمر سيادتك . .

وجرى عبد المحسن من أمامه كأنه يهرب منه . .

إن الخطة التى وضعها مع محروس تفرض عليه أن يخلى بيت بهنس من الخفير مدبولى . .

وقد جاء مدبولى ليلتها . . جاء فى ساعة متأخرة وبعد أن اطمأن إلى أن أحدا لن يراه وهو يترك حراسة البيت . . وجلس على الأرض بجانب ابن عمه عبد المحسن بينما مرتضى جالس على الأريكة مقعد آخر جلس الخولى عبد الرازق . . إن عبد الرازق يراه يجلس بجانب مرتضى على أريكة واحدة . . لا يصح . . السيد والناس مقامات . . وتعمد مرتضى أن يطيل الجلسة

إلى الكلام . . وقدم له الشاى . . كانت الكوب الأولى من شاى عبد المحسن ثم أمر مرتضى عبد الرازق بأن يقدم الشاى مرة ثانية من عنده . . واستجاب عبد الرازق متأففا . . لا مدبولى ولا عبد المحسن يستحقان أن يقدم لهما الشاى . . ومرتضى يتعمد أن يمد فى الأحاديث وكلما هم مدبولى أن ينصرف صاح فيه مرتضى :

ــ اجلس يا رجل . . الكلام عن بهنس لا ينتهى . .

ولم يتركه يذهب إلا بعد الثالثة صباحا . . هذا يكفى ليتم محروس عمليته . .

وفى صباح اليوم التالى جاءته فهيمة بالشاى والافطار ولم يستقبلها بعينين مشعتين كما تعود أن تشد الاشعاع من عينيه كلما جاءته . . كان تائها فى أفكاره . . ترى هل أتم محروس العملية . . وبماذا خرج من البيت . . ماذا وجد هناك ووصل إليه . . هل سطا على الخزانة . . وهل استطاع أن يفتحها أم حملها معه . .

وقالت له فهيمة فى لهجتها العادية التى تحادثه بها . . لهجة ليس فيها هذا الاحترام والخنوع الذى يحادث به الفلاحون الأسياد . . إنها لم تنشأ كأبيها فى عز عبد السلام السلامونى . . لقد وعت وهى ترى مرتضى يأكل من خيرهم كأنه مثلهم وواحد منهم :

ــ هل أحمل لك المقعد إلى شاطىء الترعة . .

وقال مرتضى وهو غائب عنها بعينيه :

ــ لا . . سأبقى اليوم هنا . .

ووقفت أمامه كأنها تنتظر منه أن يطلب شيئا آخر كعادته . . ولكنه لم يطلب شيئا . . وخرجت وهو لا يتتبعها كعادته متحسرا على نفسه . .

وبقى داخل البيت لا يتحرك . . كأنه يخاف أن يمد قدمه ولو خطوة واحدة . . وهو يريد أن يسأل ، ولكنه لا يستطيع أن يسأل . .

كيف يسأل والمفروض أنه لا يعرف ما يستحق أن يسأل عنه . . بل إنه حتى خاف أن يرسل فى طلب عبد الرازق أو عبد المحسن لعلهما يقولان له شيئا . . ومضت الساعات والحيرة تعذبه إلى أن جاءته فهيمة كعادتها كل عصر تحمل له صينية الغداء وجاء معها أبوها عبد الرازق وقال قبل أن يقرئه التحية :

ــ هل عرفت ما حدث ؟

وقال مرتضى فى برود متعمد وهو يضغط على كل أعصابه حتى لا يبدو أنه ينتظر شيئا :

ــ ماذا حدث ؟

وصاح عبد الرازق :

ــ لقد سرقوا سراى بهنس . .

وقال مرتضى وهو يفتعل الدهشة :

ــ من سرقه ؟

وقال عبد الرازق وهو لا يزال فى صيحته وينظر إلى مرتضى كأنه يتهمه بالغباء :

ــ الله أعلم . . كيف سيعرفون السارق فى يومها يا بيه . .

وقال مرتضى هادئا :

ــ اجلس يا عبد الرازق واحك لى . .

وجلس عبد الرازق بجانبه على حافة الأريكه كأنه لم يعد يستطيع أن يراعى التقاليد . . وقال :

ــ لقد مر منصور خولى بهنس فى الصباح فوجد باب السراى مكسورا ومواربا فدهش . . ودخل البيت فوجد كل الدواليب مكسورة ومفتوحة . . ومنصور لا يعرف ماذا يحتفظ به عبد الله بيه بهنس فى البيت حتى يعرف ما حدث . . فاتصل ببهنس بيه فى التليفون

وأبلغه . . ثم خرج وأمسك بالواد مدبولى وانهال عليه ضربا وهو يسأله ويتهمه . . إلى أن جاء سعادة البيه . .

وقاطعه مرتضى سائلا :

ـ وماذا كان يقول مدبولى ؟

وقال عبد الرازق وكأنه غارق فى مصيبة :

ـ قال أنه كان عندنا يطل على ابن عمه المريض . . وعاد دون أن يكتشف شيئا . .

وقال مرتضى كأنه ينقذ مدبولى :

ـ هذا صحيح . . يجب أن نشهد له يا عبد الرازق . .

وقال عبد الرازق فى غضب :

ـ ليس كل كلامه صحيحا . . إن ابن عمه ليس مريضا . . وقد قال أنه بقى معه ساعة ، وهو قد بقى معنا ساعات . . والغلطة غلطته . . الحارس ليس من حقه أن يترك الحراسة حتى لو مات ابن عمه ، حتى لو مات ابنه . . ولكن الحراس هذه الأيام كلهم ملاعين . . إنى أكثر من مرة كنت سأطرد عبد المحسن . . إنه الآخر يترك الحراسة ويذهب إلى كفر الجبل ليجلس مع أقاربه . .

وقال مرتضى بلهجة رجاء :

ـ كن مع المظلوم يا عبد الرازق . . المهم ماذا فعل بهنس بيه . . ؟

وصاح عبد الرازق :

ـ لقد جاء إلى السراى بمجرد أن سمع الخبر ، وقالوا لى أنه جن من الغضب . . ومر على كل الدواليب والأدراج . . وقالوا أنه كانت عنده خزانة ضاعت مع المسروقات . . وقد انهال على منصور الخولى باللعن والسباب . .

وقال مرتضى متلهفا :

ـ والبوليس . . هل جاء البوليس . .

واستطرد عبد الرازق فى غل :

ـ إنهم يقولون أن وزير الداخلية نفسه هناك . .

وقال مرتضى كأنه يحادث نفسه :

ـ لا أظن . . ربما كانوا أصدقاء بهنس أو رجاله . .

وعاد عبد الرازق ينفس عن غله :

ـ لقد قبضوا على منصور الخولى ومدبولى . .

وقال مرتضى دون أن يفقد هدوءه :

ـ خليك مع المظاليم يا عبد الرازق . . حتى لو شهدت بأنه لم يبق هنا إلا ساعة . . ولكن اسمع . . لا أريد أن يذكر اسمى فى هذا التحقيق . . أوصيك برحمة والدى يا عبد الرازق . . لا تقل أنى رأيت مدبولى . . لا أريد أن أجر على نفسى دوشة . . هل ذكر مدبولى اسمى . .

وقال عبد الرازق وهو ينتفض واقفا :

ـ لا أدرى . . ولكنى لا أظن . . وسأذهب لأرى ما يحدث ، اللهم اجعلها سليمة علينا . .

وقال مرتضى وهو ينظر إليه فى رجاء :

ـ سأنتظرك لتقول لى . .

وخرج عبد الرازق ، ومد مرتضى يده إلى طعام الغداء وبدأ يأكل وهو ساهم لا يحس بأنه يأكل ولا بطعم ما يأكله ، ولم يكف عن الأكل إلا بعد أن لم يجد فى الصينية شيئا يمد إليه يده . .

★ ★ ★

مرت أيام ومرتضى قابع داخل بيته وهو ساهم تتجسم فى خياله خزانة بهنس . . لقد أخذها محروس . . ولكن هل سيأتى بها إليه . . وهل استطاع أن يفتحها . . ربما فتحها ولم يجد فيها أوراقا ولكنه وجد أموالا اختص بها نفسه ولن يأتى إليه ولن يراه . . لماذا يأتى . . لماذا يشرك معه غريبا بعد أن قام بالعملية وحده . . إنه يعرف الفلاحين . . إن كلا منهم يكتفى بما فى يده ولا يطمع فى مزيد . . وسيكتفى محروس بما حصل عليه ولن يفكر فى الاستعانة به للقيام بعملية أخرى إلا بعد أن يفلس من جديد ويهوى فى الفقر . . إنه غبى . . حمار . . إنه لا يستطيع أن يتصور أن مرتضى يستطيع أن يجعل منه رئيس عصابة تهز مصر كلها . . إن مرتضى يفكر فى أن يقيم تنظيما كتنظيم المافيا العالمى . . مافيا مصرية . . ولا شك أن تنظيما كتنظيم المافيا يستطيع فى مصر أن يفرض نفسه أسهل مما يستطيع أن يفرض نفسه فى أمريكا أو فى أوربا . . إن مصر تقوم فيها فعلا مافيا رسمية من كبار الموظفين والمسئولين وسيقيم هو مافيا شعبية . . ويكون رحيما . . سيكون كارسين لوبين يسطو على الأغنياء ليعطى الفقراء . . وابتسم مرتضى ساخرا من نفسه . . إنه يحلم . . لقد عاش عمره كله وهو يحلم . . كان يحلم أنه ابن ملك . . وكان أبوه يحقق له الأحلام الصغيرة ، أما الأحلام الكبيرة فكان يعيش فى أوهامها إلى أن ينساها . . ولا شك أن كل أولاد أصحاب النفوذ عاشوا فى أحلام كلها ضاعت بعد موت أبيهم أو طرده فلم يستطع واحد أن يحتفظ بمجد أبيه وسطوته وعزه . . كلهم الآن يعيشون نكرات . .

(٤)

وكان عبد الرازق الخولى يبلغ مرتضى بالأخبار أولا بأول . . إنهم لم يصلوا إلى شىء رغم التحقيقات الواسعة التى أجريت للوصول إلى اللصوص . . وقد قبضوا على الخفير مدبولى والخولى منصور وعذبوهما فى السجن ليعترفا . . ولكن لا مدبولى ولا منصور لديه ما يعترف به . . وقد شهد معهما عبد الرازق وعبد المحسن وكذبا وقالا أن مدبولى جاء لزيارة ابن عمه المريض ولم يبق سوى ساعة ، وقد أفرج البوليس عنهما ولكن بهنس بيه طردهما من خدمته . . وقال مرتضى فى إلحاح :

— خذ مدبولى ليكون خفيرا هنا عندنا . . وليذهب عبد المحسن ليكون خفيرا هناك عند بهنس بيه بدلا من مدبولى . .

إنه أرسين لوبين الذى ينصف الفقراء . .

وقال عبد الرازق وهو يلوى شفتيه مستهينا بمرتضى :

— لا يمكن يا سعادة البيه . . بهنس بيه أتى بخفراء من عنده . . من مصر . . ثلاثة خفراء . . والثلاثة أفندية . .

وسكت مرتضى برهة وهو يتنهد فى أسى ثم قال :

— ولكن يجب أن نواسى مدبولى . . إنه مظلوم . .

وقال عبد الرازق ساخرا :

ــ لا مظلوم ولا مسكين . . دعه يتعلم الأمانة حتى يكون خفيرا لا مجرد شريب شاى . .

وسكت مرتضى وهو لا يزال تائها يبحث عن وسيلة يعوض بها مدبولى عن مصيبته . .

ومرت الأيام . .

وبعد أسبوع . . وفى ليلة الثلاثاء . . مثل الليلة التى تمت فيها عملية السطو . . وكما هو الاتفاق . . سمع مرتضى أقداما تتسلل من خلال سور الأحجار الذى يحيط بالبيت . . إنه محروس . .

وجاء محروس وحده يحمل تحت إبطه لفافة كبيرة ، وتركه مرتضى إلى أن دخل عليه محييا :

ــ مساء الخير يا سعادة البيه . .

وقال مرتضى دون أن يتحرك من جلسته على الأريكة وهو يضغط على أعصابه حتى لا يبدو عليه تأثر كأن ما حدث لا يمكن أن يثيره :

ــ أهلا يا محروس . . عفارم عليك . . والله شاطر . . لقد جاءتنى كل الأخبار . .

وقال محروس مبتسما :

ــ الفضل لك يا سعادة البيه . .

وقال مرتضى وهو يقاوم لهفته :

ــ اجلس يا محروس . . بماذا خرجتم ؟

ومال محروس ووضع اللفافة التى يحملها بجانب مرتضى على الأريكة ثم جلس متربعا على الأرض قائلا :

ــ خرجنا بالخزانة التى أوصيت بها سيادتك . . وكانت مليئة بالأوراق كما قلت سيادتك . .

وقال مرتضى وهو يتحسس اللفافة الكبيرة بيد مرتعشة :

ــ وكيف فتحتموها ؟

وقال محروس وهو لا ينظر إليه كأنه لا يريد أن يقول كل شىء :

ــ حملناها معنا وربنا قدرنا عليها . . وقد وجدنا الخير كثيرا فى بيت بهنس ، ولكننا لم نكن نستطيع أن نحمل كل شىء لكى نحمل الخزانة . .

وقاطعه مرتضى فى لهجة جادة كأنه يهدده بها :

ــ ألم يكن فى الخزانة سوى الأوراق ؟

وقال محروس بلا مبالاة كأنه يقول كل شىء :

ــ وجدنا خمس ساعات يد ذهب ومزوقة بالألماس . . ساعتين حريمى . . وثلاث رجالى . . ووجدنا ثلاث قطع من الحلى الذهبية أيضا .

وابتسم مرتضى بينه وبين نفسه . . لا شك أن هذه هى الهدايا التى كان بهنس يوزعها على مدعويه . . ثم قال فى لهفة :

ــ وماذا فعلتم بهذه الساعات . .

وقال محروس مبتسما :

ــ اطمئن يا سعادة البيه . . الواد برهومة له قريب فى المنيا نستطيع أن نعتمد عليه . . وقد سافر إليه ومعه كل الذهب ، وأيضا الفضيات . . ولكننا وجدنا أيضا فى أحد الأدراج مبلغا من المال . . ألفى جنيه وكسورا . .

ومد محروس يده فى جيبه وأخرج رزمة ملفوفة ومد يده يعطيها لمرتضى باحترام . .

وقال مرتضى فى دهشة :

ـ ما هذا ؟

وقال محروس وعيناه تلمعان بالفرحة :

ـ خمسمائة جنيه .. حقك يا سعادة البيه ، ولو أن حقك هو كل ما خرجنا به ، إنما أنا قلت لنفسى ياواد نقسم .. فقسمت بيننا بالتساوى يا سعادة البيه .. نحن أربعة يا سعادة البيه .. أما ما نحصل عليه من ثمن بيع الساعات والذهب فلن يكون بالتساوى .. سيكون لسيادتك النصيب الأكبر .. إنما أردت فى النصيب الأول أن أفرح رجالى فقسمت بالتساوى .. وسيادتك موافقنى ..

وقال مرتضى وهو يضغط على المبلغ الذى بين أصابعه ويدعى نبرة الغضب :

ـ لن آخذ ولا مليما .. إن كل نصيبى هو هذه الأوراق .. وهى أوراق لا تهمك ولكن تهمنى ..

وقال محروس وذكاؤه يلمع فى عينيه .. إنه يبدو أذكى مما كان يقدر مرتضى :

ـ كل ما يهمك يهمنا يا سعادة البيه .. لقد أصبحنا فى خيط واحد وأنا مطمئن إلى سيادتك .. كلنا لنا نصيب .. ومن فضل سيادتك .. ورحمة المرحوم .. اقبل هذا المبلغ .. قد لا يكون فى العمليات القادمة أوراق تهمك وإنما دائما لك فيها نصيب .. إن شاء الله ..

وسكت مرتضى برهة بعد أن وضع رزمة الأموال بجانبه ثم قال :

ـ ولكنى خائف يا محروس ؟

ـ وقال محروس فى دهشة :

ـ مم يا بيه .. كفى الله الشر ؟

وقال مرتضى حاداً كأنه فعلا الزعيم :

ـ خائف منك ومن رجالك .. خائف أن تبدو عليكم نعمة الله فتفضحوا أنفسكم .. إن كل من يرزقه الله يفضح نفسه فيشترى ويتزوج وتنتابه حالة كرم فينفق مما رزقه الله وبذلك يكشف عن نفسه ويحقد عليه الناس فيبلغون عنه .. وتقع المصيبة ..

وابتسم محروس وقال :

ـ اطمئن يا بيه .. أنا لست صغيراً .. وكل شىء محسوب حسابه ، ورجالى ما شاء الله .. رجال .. لقد عشت الكار حتى ولو كنت جديداً عليه .. والبركة فيك .. ونفسى أعرف .. متى سأعود إلى سيادتك .. إنى لا أعرف متى سيعود الواد برهومة من المنيا حتى أنقل إليك الأخبار ..

وقال مرتضى بحسم :

ـ لا يهمنى متى يعود برهومه .. ولا تأتى إلى هنا طوال هذا الشهر .. وفى الشهر القادم سأنتظرك كل يوم ثلاثاء فى الليل .. إلى أن نجد وسيلة أراك بها ولو كل يوم ..

وقال محروس وعيناه تبحلقان فيه :

ـ ألا توصينا سيادتك بشىء ؟

وقال مرتضى كأنه ضاق :

ـ ماذا بقى لأوصيك به ؟

وقال محروس مبتسما :

ـ بيت آخر كبيت بهنس ..

وقال مرتضى كأنه يأمره :

ـ انتظر .. طويلا .. وإياك أن تقوم بأى عملية قبل أن تتفق معى .. اسمع كلامى يا محروس ..

وقال محروس وهو يطأطىء رأسه مستجيباً فى خيبة أمل :

ــ تحت أمرك يا بيه . .

★★★

ولم يتركه مرتضى إلا بعد أن روى له كل تفاصيل عملية السطو على بيت بهنس . . ثم مد له يده مصافحاً وهو جالس فى مكانه محتفظاً بهيبته . . الهيبة التى عاش عاجزاً عنها سنوات طويلة . . هيبة ابن الملك . . وما كاد محروس يخرج حتى مد يديه فى لهفة وفتح رزمة الأوراق المالية وأخذ يعدها ورقة ورقة . . خمسمائة جنيه فعلا . . لقد كان فى شوق إلى مائة واحدة . . ثم مد يديه وبدأ يفتح لفافة الأوراق . . لقد سمع أن عبد الله بهنس يحتفظ بكل أوراقه السرية فى هذه الخزانة . . فماذا يمكن أن يكون فى هذه الأوراق السرية . . وبدأ يقلب فيها وعيناه متسعتان مبهورتان وكأنه لا يصدق عينيه . . هذه إيصالات أمانة أو ديون أخذها من رجال معروفين مهمين . . إيصال باسم وإمضاء عباس خيرى . . إنه يعرف هذا الاسم . . إنه رئيس مجلس إدارة . . وهذا إيصال باسم محمود عبد المعين . . إنه وكيل وزارة . . و . . و . . لاشك أنها كلها إيصالات سرية . . ديون أعطاها بهنس لهؤلاء الناس واحتفظ بايصالاتها سراً ليهددهم بها . . ليخنقهم . . وأوراق تحمل عقوداً من شركات أجنبية . . لماذا يحتفظ بهنس بهذه العقود سراً . . لاشك أنها العقود الواقعية التى يتعامل بها مع الشركات الأجنبية ويخفيها لأن هناك عقوداً أخرى مزورة هى التى يقدمها للحكومة ويتعامل بها . . عقود تحمل أضعاف المبالغ التى تحملها العقود الحقيقية الصادقة . . وهذه أسماء كثيرة مكتوبة على أوراق بخط اليد . . لاشك أنه خط بهنس نفسه . . وكل اسم يقابله رقم . . صلاح الدين رفعت . . خمسون ألف جنيه . . مصطفى عبد الرحيم . . عشرة آلاف جنيه . . و . . و . . وأخذ يقلب فى الأوراق والدهشة تقفز بكل أحاسيسه . . وهى دهشة تضج بالفرح . . إنه فرح . . إن كل هذه الأسماء أصبحت فى يده . . إنه

يستطيع أن يشترى عبد الله بهنس كله بهذه الأوراق . . ولكن كيف . . كيف . .

وقبل أن يهل الفجر قام وجمع هذه الأوراق ومبلغ الخمسمائة جنيه وفرحته تنطلق فى ابتسامة على شفتيه . . وهو لا يزال يسائل نفسه . . كيف . . كيف . . ودخل إلى الغرفة الداخلية . . إنه لا يزال هناك دولاب له مفتاح . . وفتح الدولاب ووضع فيه الأوراق ومبلغ الخمسمائة جنيه وجذب المفتاح واحتفظ به فى جيبه . .

جاءت فهيمة تحمل له صينية الشاى والافطار . . وعاد يستقبلها وعيناه تشعان . . إن فرحته تجعله يريدها أكثر . . إنه من طول ما أحاطتها عيناه وهو يحس كأنها المرأة الوحيدة فى حياته . . لقد فقد الاحساس بالفارق بينه وبينها . . هو ابن ملك . . وهى ابنة الخولى . . هو من أولاد الذوات وهى من بنات الفلاحين . . إنه كما تعود على أكل العيش البتاو والعيش المرحرح أصبحت فهيمة تثير شهيته لأكلها . . ومد ذراعه إليها وهو يقول من خلال ابتسامته كأنه يغريها بها :

ــ قربى يابت . .

وابتعدت عن ذراعه كأنها تنفر منه وقالت فى لهجة ناهرة :

ــ ماذا تريد ؟

وقال من خلال ابتسامته وذراعه لاتزال ممدودة إليها :

ــ أقول لك قربى . .

وقالت فى لهجتها النفورة :

ــ قلت لك ماذا تريد ؟

وخفض ذراعه وسحب ابتسامته كأن شهيته ضاعت وقال فى لهجة هادئة ليست غاضبة :

— غورى من وجهى . .

وخرجت فهيمة ، وألقى بنفسه على الفراش ونام توا كأنه أغمى عليه من طول السهر وطول التفكير . . واستيقظ من نومه والمساء قريب ، وداهمه توا التفكير . . كيف . . كيف . . ولكن عليه أن يفكر أولا فى التصرف فى الخمسمائة جنيه التى تعتبر أول كسب يحصل عليه زعيم العصابة . . لعل أول ما يجب أن يفعله هو أن يرد لعبد الرازق بعض ما أنفقه عليه حتى يطمئنه ويحتفظ بثقته . . ولكن كيف . . ماذا يقول لعبد الرازق عن مصدر هذه الأموال . .

وظل ساكتاً طول الليل . . ثم قام فى الصباح التالى وارتدى بذلته التى مضت عليه شهور طويلة لم يدخل فيها جسده مكتفياً بالجلباب . . ثم انتظر إلى أن جاءته فهيمة بصينية الافطار وقال لها فى لهجة آمرة :

— اذهبى واستدعى أباك ليجىء إلى حالا . .

— وقالت فهيمة وهى تنظر إليه فى دهشة . . وهو واقف أمامها مرتدياً بذلته الكاملة . . أنيقاً . . وسيما . . كأنها ترى أمامها شخصاً آخر . . كأنه فعلا سيد الأرض وصاحبها :

— حاضر . .

وجرت من أمامه وجاء أبوها بعدها بدقائق وقال له مرتضى بلهجة أقوى مما تعود أن يحادثه بها :

— ابعث أحد الأولاد ليأتى بسيارة . . وأعطنى خمسة جنيهات . .

وقال عبد الرازق وهو يمصمص شفتيه كأنه يتحسر على مصيبته بهذا الرجل :

— آسف يا سعادة البيه . . ليس فى جيبى مليم . . وأنت تعرف أن هذه الأيام كاسدة . . وربنا يستر ويرزقنا . .

وقال مرتضى متعالياً :

— لا يهم . . إنى ذاهب لزيارة أختى وسأطلب منهم أن يدفعوا لسائق السيارة . .

ونظر إليه عبد الرازق طويلا ثم مد يده فى جيب داخل صدره وأخرج محفظته وأخذ منها جنيهين فقط ناولهما لمرتضى وهو يقول متنهداً فى أسى :

— اتفضل يا مرتضى بيه . . والعوض على الله . .

★★★

ومد مرتضى يده وأخذ الجنيهين دون كلمة شكر . . وابتعد عبد الرازق دون أن ينطق بكلمة . . وبعد قليل جاءت السيارة وذهب بها إلى بيت أخته كوثر فى مصر الجديدة . . إن أمه تقيم معها وكوثر متزوجة من بليغ ندا ، وقد كان ضابط مخابرات ثم طرد مع حماه عبد السلام السلامونى . . ولكنه شاطر . . لقد استطاع أن يهرب من فرض الحراسة عليه . . ثم استطاع أن يدخل فى أعمال حرة تدر عليه دخلا محترماً ، ولو أن مرتضى لم يكتشف أبداً تفاصيل هذه الأعمال الحرة التى يقوم بها زوج أخته . . لعله لا يزال رجل مخابرات . . مخابرات لحسابه الخاص . . وهو الذى أبلغه يوماً ما بأخبار بيت بهنس وأنه يحتفظ فيه بخزانة يجمع فيها الأوراق السرية . . وقد حاول مرتضى فى بداية الأزمة أن يعتمد على بليغ زوج أخته . . كان يطلب منه أن يقرضه ويمده بالمال إلى أن يجد طريقة . . ولكن بليغ بخيل . . وهو منذ البداية لايثق بمرتضى ولا يحترمه . . وقد اضطر مرتضى أن يستغنى عنه ويكتفى بالاقامة فى بيت كفر الجبل الذى سمحت له الحراسة بالاقامة فيه . .

وجلس مرتضى مع أمه وأخته كوثر . . إنه فعلا فى شوق إليهما . . شوق يضج بالحسرة على الأيام القديمة . . أيام العز . . أيام الملوكية . . وقالت له أمه وقلبها يتلوى بالحسرة :

ـ ماذا تعمل الآن يا ابنى . .

وقال مرتضى وهو مرح كأنه يتعمد التخفيف عليها :

ـ الخير كثير يا ماما . .

وقالت الأم كأنها تلح عليه أن يطمئنها :

ـ هل تعمل ؟

وقال مرتضى ضاحكاً :

ـ طبعاً يا ماما . . ابنك رجل . . والرجال لا يعجزون عن أن يجدوا العمل مهما حدث . .

ولم يبق مرتضى مع أمه وأخته طويلا . . وربما كان لا يريد أن يلتقى بزوج أخته حين يعود . . لعله يخشى أن يضعف أمامه ويكشف له أسراره . . إن بليغ شاطر وقادر دائما على كشف الأسرار . .

وكان قد أوصى السيارة التى جاء بها أن تبقى فى انتظاره وعاد بها إلى كفر الجبل . . وأعطى السائق خمسة جنيهات أخذها مبهوراً . . ثم دخل إلى البيت بعد أن استدعى إليه عبد الرازق . . ثم جلس مستريحا وقال له :

ـ كم الحساب يا عبد الرازق . .

وقال عبد الرازق فى دهشة :

ـ أى حساب يا بيه ؟

وقال مرتضى متعالياً :

ـ حسابى معك . . المصاريف التى تتحملها عنى . .

وقال عبد الرازق وهو يطأطىء رأسه متنهداً :

ـ الحساب كبير يا بيه .

وقال مرتضى :

ـ لا يهم . . ليس بيننا حساب . . إنك فى مكان الوالد يا عبد الرازق . . خذ . .

ومد يده فى جيبه وأخرج مائة جنيه كان قد فصلها منذ الصباح عن باقى مبلغ الخمسمائة جنيه الذى أخذه وناولها لعبد الرازق الذى قال مندهشا كأنه يصيح :

ـ خيرا ياسى مرتضى . . من أين . . ماذا حدث ؟

وقال مرتضى باللهجة المتعالية :

ـ أخذت من أختى مبلغاً كبيراً . . وقد اتفقت على أن أقوم بأعمال كثيرة . . الخيرات وصلت يا عبد الرازق . .

وقال عبد الرازق مبهوراً :

ـ ربنا يرزقك يابيه كثيراً وكثيراً . .

وسكت مرتضى برهة ثم قال :

ـ وبالمناسبة . . أريد أن تبقى فهيمة فى البيت طول النهار . .

وقال عبد الرازق فى دهشة :

ـ لماذا . . . خير . .

وقال مرتضى وهو ينظر إلى عبد الرازق فى نفاق :

ـ حتى تشرف على البيت . . وتخدمنى . . إنى مع الأعمال الجديدة سأستقبل أناساً كثيرين . . محتاج لمن يخدمنى . .

وصرخ عبد الرازق وهو ينتفض واقفاً :

ـ ابنتى ليست خادمة يا بيه . . إنها تأتى لك بالصينية وتكنس لك لأنك منا . . ولكنها لا يمكن أن تخدم الغرباء . . ابنة عبد الرازق ليست خادمة ياسى مرتضى . .

وقال مرتضى وهو ينظر إليه كأنه يتوسل :

ـ يعني ماذا تريدنى أن أفعل .. هل أتزوج فهيمة .. خلاص .. أتزوجها يا عبد الرازق ..

وقال عبد الرازق ناهراً :

ـ عيب يا بيه .. عيب .. ليس هذا كلاماً يقال ..

وابتعد عبد الرازق بسرعة وهو غاضب وكأنه ينثر التراب من تحت قدميه فى وجه مرتضى ..

ومرتضى يسائل نفسه :

ـ فعلا .. لماذا لا يتزوج فهيمة ..

ولكن مالبث أن دهمته صورة لفائف الأوراق التى يحتفظ بها .. ماذا يفعل بها .. كيف يستغلها .. كيف .. ؟ ؟

(٥)

ظل مرتضى هائماً فى البحث عن تخطيط للعملية التى يجب أن تتم .. عملية استغلال الأوراق السرية التى جاءته من خزانة عبد الله بهنس .. إن كل ما يمكن أن يقوم به أن يعيد هذه الأوراق إلى بهنس نظير ثمن .. ثمن ضخم .. وإذا لم يستجب بهنس فإنه يستطيع أن يهدد بهذه الأوراق كل من جاء اسمه بين طياتها .. يهدد ويطلب من كل منهم ما يريد .. وبهنس لا يمكن أن يرفض .. ولكن كيف يتصل بعبد الله بهنس ويتفاوض معه .. هل يرسل إليه محروس .. لا .. إن محروس لا يمكن أن يرتفع بذكائه إلى مستوى هذه العمليات الكبيرة .. هل يستخدم عبد الرازق فى تنفيذ خطة يدعى فيها أن اللصوص اتصلوا به وطلبوا منه أن يتصل ببهنس ويعرض عليه باسمهم إعادة أوراقه نظير ثمن .. لا .. إن عبد الرازق ليس فى مستوى بهنس .. فلاح .. وقد يتحايل عليه بهنس ويخدعه إلى أن يسترد الأوراق ثم يسلمه للبوليس .. ثم إنه لا يريد أن يشرك عبد الرازق فى العصابة التى أصبح يتزعمها .. لا يريده أن يعيش معه أسراره .. يكفى أن يبقى عبد الرازق خادماً للأرض وخادما له .. إنه فى حاجة إليه كخادم وإن كان يعامله كأنه كبير العائلة المسئول عنه ..

لن يستطيع أن يقوم بتنفيذ الخطة إلا هو بنفسه .. وابتسم مرتضى بينه وبين نفسه .. إنه هو وبهنس أصبحا من طائفة واحدة .. طائفة اللصوص .. بهنس لص قطاع عام يسرق الحكومة .. ومرتضى لص قطاع خاص يسرق لصوص القطاع العام .. لص يسرق لصاً .. ويجب أن يرتقى بعمليته حتى يصل بذكائه إلى مستوى ذكاء بهنس .. وهو واثق من ذكائه .. لقد تعود

أن يعتبر نفسه ابن ملك ولابد الآن أن يعترف بنفسه أيضا كأنه ابن لص ، فقد كان أبوه ملكاً من لصوص القطاع العام . . ولا شك أنه ورث عن أبيه ذكاء اللصوص . .

وضاقت ابتسامة مرتضى بين شفتيه . . لعله يكون مغروراً بنفسه . . لعل بهنس يكون أذكى منه ويستطيع أن يتلاعب به إلى أن يسترد الأوراق ويقبض عليه ويلقيه فى داهية . . ولكن مهما كانت الاحتمالات فيجب أن يجازف . . إنه لم يتعود المجازفة طول حياته ، كان أبوه هو الذى يجازف حتى فيما يحتاجه أولاده . . جازف حتى فى تزويده بالشهادات الكاذبة المزورة . . ولم يطرد أبوه ويقبض عليه نتيجة مجازفاته . . لم يقبض عليه بتهمة أنه لص . . أبدا . . لقد قبض عليه فقط لأن الرؤساء تغيروا والرئيس الجديد لم يكن يحبه ولا يريد أن يشاركه فى الملك . . إن الحياة كلها مجازفات ويجب أن يقدم على المجازفة . .

واسترد مرتضى الاطمئنان إلى تفكيره . . وبدأ يرسم خطته من جديد . . يجب أولا أن يؤجل البدء فى التنفيذ على الأقل شهراً كاملا حتى تكون الضجة قد هدأت ويكون المحققون وبهنس نفسه قد بدأوا يستسلمون لليأس ويستسلمون لاعتبار جريمة السطو كجريمة ضد مجهول . . ثم عليه ثانياً أن يصور هذه الأوراق السرية . . أن تكون لديه نسخ منها يحتفظ بها بعد تسليم النسخة الأصلية لبهنس حتى يظل محتفظاً بالسلاح فى يده . . . بالسلاح الذى يهدد به . . غدا سيحمل هذه الأوراق لتصويرها . .

وجاءته صينية الغداء . . إن عبد الرازق تعود أن يرسل إليه كل يوم صينيتين تحملان له ما يأكله . . صينية الافطار ، وصينية الغداء على أن يحتفظ عليها بما يكفيه للعشاء . . ولكن الصينية جاءته يحملها جابر بن عبد الرازق الصغير ، واستقبله مرتضى وهو يكاد يصرخ فى وجهه :

ــ أين أختك فهيمة ياواد . .

وقال جابر وهو يرفع الصينية من فوق رأسه ويضعها أمام مرتضى :

ــ أختى هناك . . فى البيت . .

وعاد مرتضى يقول فى غل :

ــ ولماذا لم تأت هى بالصينية ؟

وقال الصبى فى برود :

ــ أبى طلب منى أن أحملها إليك . .

ثم انتهى من وضع الصينية وجرى من أمام مرتضى دون أن ينطق بكلمة . .

★ ★ ★

هل غضب عبد الرازق . . هل سيحرم على ابنته فهيمة أن تدخل بيته . . هل سيحرمه من رؤيتها . . لا يمكن . . إنه منذ ساعات أعطاه مائة جنيه واسترد ثقته وأثار أمله فى أن يعود ويعيش من خيره كما عاش من خير أبيه . . فكيف يتجرأ عليه إلى حد أن يحرمه من خدمات ابنته . . ولكن لعل عبد الرازق لم يتعمد حرمانه من ابنته . . ولقد اعترف بالخير الذى أفاض به عليه منذ ساعات فأرسل على صينية الغداء فرخة كاملة محمرة . . لا شك أنها فهيمة التى تولت تحميرها وإعدادها . . إنه لم يكن يرسل إليه قطعاً من الفراخ إلا نادراً . . وسيفاتح عبد الرازق فى الموضوع بصراحة فى جلسة المساء التى تجمعهما . . وتاه مرتضى فى تخيل فهيمة وهو يحس بنفسه فى ضياع بعد أن حرم منها فى هذه الساعة التى تعود أن يراها فيها . . وفهيمة لا تزال تملأ كل خياله . . وجهها الأسمر الناضج الذى تلفه بطرحتها السوداء الفلاحى . . وعيناها الواسعتان اللتان يبرق سوادهما بين بياضهما ويضجان بحلاوة الشباب . . وقوامها المشوق يتقدمه ثدياها المكتنزان ويختفى كله وراء ثوبها الأسود المطرز الطويل حتى قدمها . .

إنها دائماً حافية القدمين وإن كانت أحياناً تضعهما فى شبشب تزحف به كأنها تهم بالقائه بعيداً عن قدميها لتتخلص منه .. وعلت ابتسامة شفتى مرتضى .. إنه كلما رآها وتمناها تخيل أنه سيأخذها إلى الحمام ويغسلها بيديه حتى ينزع عنها آثار الطين اللاصقة بقدميها ويجعل جسدها كله فى بريق النور قبل أن يأخذها إليه ..

وجاء المساء ولم يأت عبد الرازق ليقضى السهرة معه كما تعود فى ليال كثيرة .. جاء الخفير وحده ليجلس تحت قدميه وقال له أن عبد الرازق ذهب لزيارة بعض أقاربه فى القرية .. ولم يعلق مرتضى بكلمة .. ولم يحاول أن يرسل الخفير ليتقصى ويدعو عبد الرازق إليه .. ولكنه لم يفقد الأمل .. إن فهيمة ستحمل له صينية الافطار فى الصباح ..

وفى الصباح قام مرتضى من النوم مبكراً كعادته وارتدى حلته الكاملة الأنيقة .. وانتظر صينية الافطار .. وقد جاءت الصينية يحملها جابر لا فهيمة ..

وتنهد مرتضى بلا أى كلمة ثم قال آمرا الصبى :

ـ اذهب واستدع لى سيارة أجرة .. إياك أن تتأخر ..

وجرى الصبى .. ولا شك أنه مر بأبيه قبل أن يذهب لاستدعاء السيارة .. فجاء عبد الرازق إلى مرتضى وكأنه كان ينوى ألا يجىء .. وألقى تحية الصباح فى صوت خفيض ثم قال وهو يرخى عينيه عنه كأنه لا يريد أن يرى وجهه ولكنه فقط يريد أن يعلم :

ـ هل تنزل اليوم أيضا ؟

وقال مرتضى فى لهجة متعالية :

ـ سأنزل .. قلت لك أنى بدأت العمل ..

وقال عبد الرازق وهو يبتعد إلى مدخل الأرض :

ـ ربنا يوفقك يابيه ..

وضغط مرتضى على لفافة الأوراق المسروقة التى حملها فى يده .. إنه لم يحمل كل الأوراق إنما فقط الأوراق التى قدر أهميتها بالنسبة لخططه .. وانتظر إلى أن عاد إليه عبد الرازق قائلا فى لهجة مهذبة دون أن يرفع إليه عينيه :

ـ اتفضل يابيه .. السيارة وصلت ..

وخطا مرتضى وهو منفوخ الصدر مرفوع الرأس متعمداً أن يبدو وكأنه استعاد كل مجده القديم ، وعبد الرازق يهرول وراءه كأنه هو الآخر بدأ يحس أن مرتضى سيستعيد المجد القديم لمجرد أنه أصبح يعمل .. لايدرى .. ولا يحاول أن يدرى ..

واتجه مرتضى إلى دكان يعلق يافطة مكتوباً عليها أنه يصور المستندات .. كان يمر على هذا الدكان كثيراً دون أن يتصور أنه سيدخله يوماً ما .. ولكنه قبل أن يدخل ذهب إلى دكان آخر واشترى حقيبة لحمل الأوراق وتعمد أن تكون حقيبة فخمة دفع عشرين جنيها ثمناً لها .. إنها حقيبة تليق بكبار رجال الأعمال . ووضع فيها الأوراق التى يحملها ، ثم دخل دكان التصوير .. وقال لصاحب الدكان أن آلة التصوير التى فى مكتب الشركة .. شركته معطلة .. وأنه يريد تصوير هذه المستندات حالا .. وقال صاحب الدكان وهو مبهور بمظهر مرتضى :

ـ بعد ساعة واحدة تمر سيادتك وستكون المستندات جاهزة ..

وقال مرتضى فى لهجة رجال الأعمال :

ـ لا .. لا أستطيع أن أنتظر .. ربع ساعة تكفى .. واطلب ماشئت ..

وقال صاحب الدكان فرحاً :

ـ تحت أمر سيادتك ..

وقال مرتضى آمراً :

ـ وسأدخل معك إلى حجرة التصوير . .

ونظر إليه صاحب الدكان فى خبث . . إنه لا يريد أن يترك مستنداته بعيداً عنه . . إنه يخاف عليها . . لابد أنها مستندات خطيرة بالنسبة له . . وابتسم من خلال نظرته الخبيثة وقال :

ـ تفضل سيادتك . . هذا حقك . .

ودخل معه إلى غرفة صغيرة داخل الدكان . . ووقف بجانبه إلى أن تم تصوير نسختين من الأوراق بجانب النسخة الأصلية وهو حريص على ألا يقرأ صاحب الدكان سطراً واحداً ، ثم تأكد أن آلة التصوير ليس فيها أفلام يمكن أن تظل محتفظة بما صورته . . ووضع الأوراق داخل الحقيبة الفخمة . حقيبة رجل الأعمال . . وقال فى لهجة متعالية :

ـ كم ؟

وقال الرجل وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

ـ عشرون . .

وقال مرتضى دون أن تبدو عليه المفاجأة :

ـ كن معقولا . . عشرة . .

وقال الرجل من خلال ابتسامته الخبيثة :

ـ إنى أريد أن أكسبك يا سعادة البيه . . سأكون تحت أمرك دائماً . . وإذا أردت أن تصلح آلة المكتب فأنا فى خدمتك . . ولذلك فانى أكتفى بخمسة عشر . .

ووضع مرتضى يده فى جيبه ثم ألقى أمام الرجل ما طلبه قائلا وهو يخطو خارجاً :

ـ سأرسل إليك عندما أحتاج إليك . .

ودخل السيارة التى كانت فى انتظاره وهو يحتضن الحقيبة إلى صدره . . وتاه فى أفكاره . . إن عليه الآن أن ينتظر إلى أن يحدد الوقت المناسب ليبدأ الخطوة التالية من الخطة . . ليصل إلى بهنس . . يجب ألا يتعجل وأن يحتمل الانتظار .

ووصل إلى المزرعة فى كفر الجبل . . ووجد الصبى جابر واقفاً عند المدخل كأن أباه عبد الرازق قد وضعه ليبلغه ساعة وصوله . . وابتسم كأنه يشفق على الأب . . ودخل البيت الذى يسمونه سراى ، وخبأ الأوراق فى الأدراج ثم خلع البدلة وارتدى الجلابية الفلاحى وجلس فى انتظار صينية الغداء . . هل تحملها له فهيمة . . ولكنه يجب أن يفاتح عبد الرازق وبصراحة . . إنه يريد فهيمة . .

وجاءت صينية الغداء يحملها جابر ويسير بجانبه أبوه عبد الرازق . . وسكت مرتضى برهة إلى أن وضعا الصينية أمامه ثم قال :

ـ اجلس يا عبد الرازق . . اذهب أنت يا ابنى يا جابر . .

وقال عبد الرازق :

ـ أتركك إلى أن تنتهى من الغداء . . بالهناء والشفاء . .

وقال مرتضى آمراً :

ـ اجلس . . لن آكل قبل أن ننتهى من الكلام . . أين فهيمة . .

وقال عبد الرازق وهو يرخى عينيه عنه ويفرك يداً بيد :

ـ فى الدار . .

وقال مرتضى وهو يحلق فيه بنظرات جادة :

ـ ولماذا لا تحمل لى الصوانى كعادتها . .

ورفع إليه عبد الرازق عينيه وكأنه قرر أن يتحداه :

ـ ابنتى ليست خادمة ياسى مرتضى .

وصاح مرتضى :

ـ من قال أنها خادمة . .

وقال عبد الرازق فى حدة :

ـ قلتها أنت ياسى مرتضى . .

وسكت مرتضى برهة ثم قال فى لهجة هادئة كأنه يتوسل :

ـ اسمع يا عبد الرازق . . لو كنت أريد خدماً لجئت بعشرة . . إن الحال تيسر . . ولكن فهيمة ابنة عبد الرازق لا يمكن أن تكون خادمة . . لقد أصبحنا عائلة واحدة . . أنا وفهيمة أولادك . . وقد سبق أن قلت لك أنك كأبى حتى أنى أعتمد عليك فى كل ما أحتاج إليه . . أنا تغيرت يا عبد الرازق . . أصبحت فلاحاً منكم . . ومهما أعطانى الله فسأبقى فى هذا البيت . . وأعيش على الصوانى التى تعدها لى فهيمة . . ولن أستطيع أبداً الاستغناء عنكم . .

وقال عبد الرازق متنهداً :

ـ صادق يابيه . . إنما ما الفرق بين أن يحمل لك الصينية جابر أو تحملها فهيمة . . كلنا فى العائلة . .

وقال مرتضى وهو يغريه بابتسامته :

ـ فهيمة حاجة تانية يا عبد الرازق . . لقد أصبحت ست البيت . . بيتى . . وأنا أتمنى أن أناسبك ياعبد الرازق . . أطلب منك فهيمة . .

وتنهد عبد الرازق تنهيدة عميقة كأنه يضغط بها على أعصابه حتى لا يثور فى وجه السيد . . وقال :

ـ فهيمة مخطوبة . .

وصرخ مرتضى فى حدة :

ـ لا تكذب ياعبد الرازق . .

وقال عبد الرازق وهو يتراجع :

ـ أقصد أنها ستخطب . . تقدم لها أحد أبناء كفر الجبل . . واحد من الفلاحين . .

وعاد مرتضى يصرخ :

ـ وأنا يا عبد الرازق . . . لقد عشت معك أكثر مما عاش أى فلاح حتى أصبحت منكم . . من الفلاحين .

وارتفع صوت عبد الرازق قائلا :

ـ لايابيه . . ابن عبد السلام السلامونى يتزوج ابنة عبد الرازق الخولى . . ماذا يقول الناس . . وكيف أخفى وجهى عنهم . .

وقال مرتضى هادئاً متوسلا :

ـ لا تبخس قدر نفسك يا عبد الرازق . . أنت الآن فوق عبد السلام السلامونى وابن السلامونى . . إنك صاحب أرض وتحكم هذه العزبة . . وسمعتك فى كل مكان تشرف أبناء السلامونى . . هل تعرف ماذا سيقول الناس . . سيقولون أنك من أصل كريم . . وأنك وفى مخلص إلى حد أنك أشفقت على ابن السلامونى بعد أن ضاع منه كل شىء فتبنيته إلى أن زوجته ابنتك لتستره وتسعده . . هذا ما سيقوله الناس وما أقوله أنا . .

وسكت عبد الرازق برهة كأنه يفكر فيما سمعه ثم قام واقفاً قائلا :

ـ دعنا الآن . . إلى أن يهدينا الله . .

وابتعد صامتاً كأنه نسى أن يحيى . . .

ومد مرتضى يده إلى صينية الطعام وهو ساهم . . لماذا لا يتزوج فهيمة . . إنه يريدها رغم أنها فلاحة . . لقد تعود على البتاو والمرحرح ولم يعد يحتاج إلى زوجة من الطبقة الأرستقراطية . . لم يعد يعيش هذه الطبقة ولا يطيقها . . كما لم يعد يتذوق العيش الفينو والجاتوه . . وزواجه من فهيمة سيبعد عنه كل الشبهات . . سيعرف الناس أن فقره وصل إلى حد أن يعيش بين الفلاحين ويتزوج فلاحة . . ولا يمكن أن يتهموه بأنه استعاد ثروته بعد أن أصبح زعيم عصابة . . لا يمكن أن يقبل الرجل الثرى الزواج من فلاحة ابنة خولى فلاح . . لقد أصبح مقتنعا بالزواج من فهيمة . . إنها ليست مجرد شهوة تدفعه إلى الحصول على امرأة . . إنه اقتناع . . إنه يخطط لزواجه كما يخطط لعصابته ولمستقبله . .

★★★

وفى المساء جاء عبد الرازق يشاركه الجلسة وابتسم مرتضى سعيداً . . إن معنى هذا أنه غاضب منه ولم يقرر مقاطعته . . معنى هذا أنه قد يقبل أن يعطيه ابنته . .

ولكن فى صباح اليوم التالى لم تحمل له فهيمة الصينية . . لم تحملها له أبداً بعدها . . ولكنه كان أحياناً يراها فى ممرات الأرض . . ويخيل إليه أنها تغيرت . . إنها غالباً ترتدى أثواباً ملونة حمراء وخضراء وصفراء . . ألوان تعلن الفرحة . . ولا تكاد تراه حتى تبتسم ثم تجرى من أمامه فى غنج البنات . . لا شك أن أباها قد أخبرها أنه خطبها منه . . وربما بدأوا يعتبرونها كأنها خطبت فعلا فتركوها تعلن فرحتها بالأثواب الملونة . . ولكن عبد الرازق لم يبلغه موافقته بعد . . وهو يتعمد ألا يعيد مطلبه . . وإنما يوماً بعد يوم يزداد عبد الرازق تقرباً إليه ولطفاً معه . .

★★★

(٦)

ومرت الأيام حتى حان الموعد الذى كان قد حدده لمحروس . . وقد جاء محروس وحده متسللا كعادته ومرتضى جالس كعادته على الأريكة . . لقد تعود ألا ينام إلا قرب الفجر وكأنه أصبح يقضى كل لياليه فى انتظار محروس . . .

وجلس محروس تحت قدميه بعد تبادل التحية ، وقال مرتضى متعمداً اللامبالاة حتى يحتفظ بسطوته كزعيم عصابة :

ـ أخبارك يا محروس ؟

وقال محروس ولهجته تعبر عن اعتزازه بنفسه :

ـ كله خير يا سعادة البيه . .

ثم مد محروس يده داخل جلبابه وأخرج كمية من الأوراق المالية وناولها لمرتضى ، وأخذها مرتضى وهو يخفى فرحته وينطلق متعالياً :

ـ ما هذا . . إيه الحكاية ؟

وقال محروس مبتسما :

ـ البيعة تمت وخرجنا بثلاثة آلاف وكسور . . قلت هذه المرة يكون نصيبك ألفا وأنا ورجالى ألفين . . وقدو افق الرجال على أن يكون لك النصيب الأكبر . . الفضل لك ياسى مرتضى . . وكلنا لك . .

وصاح مرتضى كأنه ينهره :

ـ البيعة كلها بثلاثة آلاف . . مستحيل . . إن الساعة الذهبية المرصعة الواحدة من الساعات التى خرجتم بها تساوى خمسة آلاف . . بكم بيعت الساعة ؟

وقال محروس متحسراً :

ـ بعشرة جنيهات ومنها ساعة بيعت بسبعة جنيهات ونصف . .

وانطلق الشك من عينى مرتضى كأنه لا يصدق محروس ولكنه كتم شكه بسرعة . . وقال كأنه يلومه :

ـ ضحكوا عليكم يا محروس . . الثلاثة آلاف كان يجب أن تكون مائة ألف . .

وقال محروس متنهداً :

ـ والله تعبنا يا بيه . . لقد تمت البيعة فى المنيا والشارى عارف إننا غلابه وبيتحكم . . لو كنت سيادتك معنا كنا وصلنا إلى خير أكثر . . المرة القادمة بإذن الله . . متى سنعمل يا سعادة البيه . . على الله تكون وجدت لنا شيئاً . .

وقال مرتضى وهو يفتعل ابتسامة :

ـ الصبر يا محروس . . لا تتعجل . . أنا لا ألعب بكم ، وكل عملية تحتاج إلى تفكير وتخطيط . . وكما قلت لك إياك أن تقوم بأى عملية بلا علمى . . وإلا خسرتنى وخسرتكم . . المهم . . ماذا جد عليكم . . ظهر عليكم شىء جديد مما رزقكم الله . .

وقال محروس وهو ينظر إلى مرتضى فى لوم :

ـ طلبت من سيادتك أن تطمئن . . الرجال تركوا بيوتهم فى برقاش ، وقالوا أنهم سينضمون إلى عمال التراحيل . . وكل واحد

ذهب إلى مكان أعرفه . . وأنا أيضاً تركت برقاش وقلت أنى سأعمل فى كرداسة . . لم أذهب إلى مكان بعيد حتى أكون بقربك . . ولكن يا بيه نريد أن نعمل . . العملية اللى فاتت حلوة واللى جاية أحلى باذن الله . .

وقال مرتضى ناهراً :

ـ قلت لك اصبر . . وسأراك دائماً . . اسمع . . ألا تستطيع أن تخلع الجلابية وتلبس بنطلونا . .

وقال محروس ضاحكاً :

ـ ممكن يا بيه . . وقد سبق أن لبست البنطلون ونزلت به مصر . . ولم يوفقنى الحظ وأنا بالبنطلون . .

وقال مرتضى فى جدية :

ـ هل يعرفك أحد فى هذه الناحية ؟

وقال محروس من خلال ابتسامته :

ـ أبداً . . كانت أول مرة أخطو فيها إلى هذه الناحية يوم أن تشرفت بمعرفة سيادتك . . ولكن لى صديق من برقاش يعرف عبد الرازق وهو الذى حدثنى عن سيادتك بما دفعنى إلى زيارتك . .

وقال مرتضى كأنه يضع خطة جديدة :

ـ اسمع . . من اليوم ستأتى إلى فى النهار لا فى الليل . . وستأتى وأنت بالبنطلون والقميص . . وسأقول أنك تعمل معى فى مصر . . فاهم . .

وقال محروس :

ـ فاهم يا بيه . . يمكن كده أحسن . .

وقال مرتضى بسرعة :

ـ لاتأت قبل أسبوعين . . دع يوم الثلاثاء القادم . . والثلاثاء

الذى بعده . . ثم تعال يوم الثلاثاء قبل الظهر . .

وقال محروس :

ـ حاضر . . ولو أن الانتظار طويل . .

وقال مرتضى آمراً :

ـ اسمع الكلام يا محروس . . وأريدك أن تترك الإقامة فى كرداسة وتبحث عن حارة تقيم فيها فى القاهرة . .

وقال محروس فى دهشة :

ـ لماذا يا بيه . . أنا لست متعوداً على القاهرة . .

وشخط فيه مرتضى :

ـ اسمع الكلام يا محروس . . وكفى الليلة . . إلى أن أراك . .

وقام محروس مصافحاً وهو يبدو مبهوتاً . . وقال له مرتضى وهو يصافحه وينظر إلى الأموال التى تركها له :

ـ متشكر يا محروس . . متشكر جداً . . أنت رجل . . لم أكن أصدق أنك تفى بكلمتك إلى هذا الحد . .

وخرج محروس وهو يتلفت إلى مرتضى حائراً كأنه لا يفهمه . . ثم توقف كأنه نسى شيئا وعاد واقترب من مرتضى قائلا . .

ـ يا ترى الأوراق اللى فى يد سعادتك . . نفعت . . هل خرجنا منها بشىء ؟

وصاح مرتضى كأنه ينهره :

ـ ليس هذا وقته يا محروس . . ليس هذا وقته . . مع السلامة . .

وابتعد محروس وهو أشد حيرة ومرتضى يلوى شفتيه قرفاً . .

* * *

وفى الصباح قام مرتضى وارتدى بذلته واستدعى سيارة أجرة . . ولم يكن هناك ما يدعوه إلى أن يذهب إلى القاهرة ولكنه فقط يريد أن يركب سيارة ويترك العزبة حتى يوهم عبد الرازق أنه يعمل . . واختار أن يذهب لزيارة أمه وأخته كوثر مرة ثانية . . وقالت كوثر وهو جالس بينهما :

ـ ستبقى معنا اليوم . . إن زوجى بليغ غضب عندما علم أنك جئت ولم تنتظر حتى يراك . . إنه يريد أن يراك . .

وقال مرتضى ضاحكاً :

ـ بليغ لا يهمه أبداً أن يرانى . . ولا عمره سأل عنى . . ولكنى سأمر عليه يوماً أو لعله يتنازل ويمر على فى كفر الجبل . .

وقالت كوثر مدافعة عن زوجها :

ـ أبداً . . إنه دائم السؤال عنك . .

وقالت له أمه :

ـ يا ابنى إنك تغيب عنا طويلا وأنا فى حاجة للاطمئنان عليك . .

وقال مرتضى وهو يرفع يدها يقبلها :

ـ اطمئنى ياماما . . وستسمعين قريباً خبراً يهمك . .

وقالت الأم فى لهفة . .

ـ ماذا . . طمنى يا ابنى . .

وقال مرتضى من خلال ابتسامته :

ـ سأتزوج . .

وقالت الأم مبهورة :

ـ من ؟

وقال مرتضى وهو يقوم منصرفاً :

ـ ستكون مفاجأة ليس هذا وقتها . .

وخرج وأمه وأخته تنظران وراءه فى دهشة وجزع . .

★★★

وعاد مرتضى إلى بيته واستدعى عبد الرازق ثم مد يده فى جيبه وأخرج ثلاثمائة جنيه كان قد اقتطعها من الألف التى أخذها من محروس وناولها ليد عبد الرازق . .

وقال عبد الرازق فى دهشة وهو ينظر إلى المبلغ مبهوراً :

ـ ما هذا كله ياسى مرتضى . .

وقال مرتضى مبتسما :

ـ ليس هذا من ضمن الحساب . . إنه المهر يا عبد الرازق . مهر فهيمة . .

ورفع إليه عبد الرازق عينين حائرتين ثم قال متنهداً فى استسلام :

ـ مبروك يا ابنى . . وربنا يتمم بخير . .

★★★

(٧)

صمم عبد الرازق على أن يعقد قران ابنته بلا حفل كأنه كان يدارى فضيحة ، ولكنه جمع إخوته وأقرب المقربين إليه حتى يرضى ضميره ويحمى سمعته ومكانته . . وقد صمم على أن يعقد القران ويلتف الجمع فى فناء داره لا فى السراى . . سراى صاحب الأرض . . إنه لم يدخل هذه السراى إلا خادماً ، أما إذا أراد صاحب الأرض أن يتزوج ابنته فليأت إليه فى داره لا أن يذهب هو إليه فى السراى . . إنه يريد أن يقنع نفسه ويقنع مدعويه بأنه لم يتغير فيه شىء . . إنه لا يزال عبد الرازق الخولى . .

وجلس مرتضى بين المدعوين وهو مرتد جلبابا وصامت ، وكل من حوله أقرب إلى الصمت . . إنهم ينظرون إليه نظرة قلقة كأنه ليس منهم . . إنه السيد ابن السيد . . حتى ولو كان أغلبهم يعرف أنه لم يعد يملك الأرض وأنه يقيم فى السراى لحاجته . . ربما لولا هذه الحاجة لما تزوج فهيمة ابنة الخولى . . ولم يدع مرتضى أمه ولا أخته ولا أحداً من العائلة . . إنهم قطعاً يرفضون هذا الزواج ولا يمكن أن ينزلوا إلى مستوى الفلاحين ، وربما اعتبروا أنه أصبح مجنونا ومسحت المصائب عقله حتى قبل على نفسه أن يتزوج فلاحة بنت فلاح . . وليس لمرتضى أصدقاء يشاركونه تفاصيل حياته ويفهمونه ويتحملون نزواته حتى يدعوهم وهو يتزوج فهيمة . . لم يعد هناك من يحتمل

حياته التى يعيشها سوى عبد الرازق الخولى وعبد المحسن الخفير . .

وبقى مرتضى إلى أن أتم مأذون الناحية عقد القران ، ووزعت أكواب الشربات وسمع زغاريد ضعيفة من داخل الدار . ثم قام محيياً وعاد إلى البيت . . إلى السراى . . وقبل المدعوون انصرافه عنهم فى ترحيب دون أن يتساءلوا كيف ينصرف العريس قبل انصرافهم . . إنه ليس منهم ، وكان وجوده ثقيلا عليهم . .

وجلس مرتضى فى انتظار عروسه وبين شفتيه ابتسامة لاتزال تتساءل . . كيف يتزوج فهيمة . . ماذا سيكون حاله مع فهيمة . . هل هو مجنون فعلا لأنه تزوج ابنة عبد الرازق . . ومرت ساعة . . وجاءت إليه العروس يحيط بها أمها وخالتها وإخوتها البنات . . وكن يسرن إليه بلا فرحة كأنهن مستسلمات لقدرهن . . ولم تكن فهيمة فى ثوب الزفاف الكامل الذى رآه فى أفراح الفلاحات . . ولكنها كانت ترتدى ثوباً زاهياً وتتحلى بمصاغ من الذهب . . سمرتها براقة مشعة . . لقد أعدوها للزفاف حتى لو كان زفافا صامتاً بلا طبول . . وقام مرتضى مرحباً مبهوراً بعروسه . . وقالت له أمها كأنها تناولها له :

ــ أمانة عليك ياسى مرتضى . . كن خفيفاً عليها . . وضعها فى حماك وبين عينيك . . فهيمة غالية وتستحق الغالى . .

وقال مرتضى ضاحكاً وهو يمسك بيد فهيمة ويشدها إليه :

ــ زغردى يا أم جابر . . زغردى . . هذه ليلة فرحتنا كلنا . .

وأطلقت أخت فهيمة الصغيرة زغرودة خافتة . .

وفهيمة صامتة . . لاتبدو عليها سعادة ولا تعاسة ، ولا يبدو عليها شىء من الخفر أو الخجل الذى يصحب كل عروس فى ليلة دخلتها . . إنها تنظر فى وجه مرتضى بكل عينيها الواسعتين السوداوين الرائعتين نظرات جريئة ، وكأن عينيها تسائلانه فى تحد . . ماذا تريد منى . .

حتى بعد أن انصرفت أمها ومن معها وتركوها له . . لا تزال عيناها تسألان فى تحد . . ماذا تريد منى . . وابتسم مرتضى وهو يسأل نفسه . . هل يأخذها ويدخل بها الحمام ليغسلها بيديه كما كان يحلم دائماً . . لا . . إن فهيمة تبرق وتلمع وليس على قدميها ذرة من طين الأرض كما تعود أن يرى قدميها . . لقد أعدوها لليلة الزفاف . . وحاطها بذراعيه وهى لا تزال صامتة وعيناها تسائلانه ماذا يريد منها . . كأنها تريد أن تعرف قبل أن تختار . . قبل أن توافق . . والأعجب من ذلك . . أنها ليست خائفة هذا الخوف الذى يلم بالعذارى . . ولاخفر ولا حياء . . كأنها تتعمد أن تكون معه فى مثل ماهو فيه . . إنها ليست خادمة . . ليست تحت أمره . .

ورغم ذلك قضى مرتضى ساعات وهو فى منتهى النشوة ومنتهى المتعة . . وكل ما فى إحساسه سعادة . . إحساس لم يحس به مع زوجته الأولى نسليار ابنة المانسترلى . . ولا مع باتريشيا فى موسكو . . ولا مع أى امرأة مر عليها . . إنه لايحس بأنه زوج يأخذ حقوق الزوج . . إنه يحس بأنه سيد يفرض إرادة السيد . .

وفى الصباح التالى جاءت أمها تحمل لها صينية الافطار . . وانفردت بابنتها طويلا . . ثم أخذت الاثنتان تكنسان وتنظفان فى البيت . . ثم تركتها الأم لتتناول الافطار مع زوجها . . وتركته فهيمة يأكل وحده وهى واقفة أمامه . . وقال لها وهو يحتضنها بعينين واسعتين :

ــ اجلسى يافهيمة . . شاركينى الافطار . .

وقالت فهيمة بلا ابتسام :

ـ كل أنت . . بالهناء . .

وقال مرتضى كأنه يرجوها :

ــ كلى معى لتفتحى شهيتى . .

هذه هى عادة الفلاحين . . لا تتناول الزوجة الطعام مع

زوجها . . وفهيمة مصرة على أن تبقى فلاحة وتعبر عن إصرارها كأنها تريد أن تقول له . . سأبقى ابنة أبى ولن تغيرنى . .

وبعد فترة قامت لتخرج صامتة من البيت . . وسألها مرتضى فى دهشة :

ــ إلى أين ؟

وقالت فهيمة فى لهجة الإصرار :

ــ إلى الدار لأعد ما نحتاج إليه . .

وقال مرتضى من خلال دهشته :

ــ لماذا لاتعدين كل شىء هنا ؟

وقالت كأنها تتهمه :

ــ لا أستطيع إعداد شىء بعيداً عن الفرن . . والفرن هناك . .

وابتسم مرتضى وتركها تذهب . .

وعادت بعد ساعات تحمل بنفسها صينية الطعام . . طعام دسم أعدته العروس للعريس . .

★★★

كان قد مر أكثر من شهرين على ليلة السطو على بيت بهنس وسكتت كل الضجة حولها وكأنها نسيت . . وكان قد مر أسبوع على زفاف مرتضى وهو يحس فى نفسه بقوة كأنها قوة جديدة ويحس كأنه عبقرى . . كأنه أذكى الأذكياء . . لاشك أن زواجه بابنة الخولى سيبعد عنه كل الشبهات . . سيعتقد الجميع أنه نسى مجده القديم واستسلم للواقع الذى يعيش فيه . . استسلم للفقر . . ثم إنه متفائل بزواجه من فهيمة . . إنه يحس كأنها قدم السعد وستجلب له الحظ . . ويجب الآن أن يبدأ فوراً فى تنفيذ الخطوة الثانية من الخطة . .

سيتصل بعبد الله بهنس بالتليفون . . وقد تأكد أنه جاء هذا الصباح إلى بيته فى شبرا منت . . وهو يعرف رقم التليفون هناك رغم أنه رقم ليس مقيداً فى دفتر الأرقام . . عرف الرقم منذ زمن طويل بأحاديثه مع الخفير مدبولى . .

وقام وارتدى جلباباً . . . لم يرتد البدلة كأنه يريد أن يتنكر . . وركب سيارة إلى شارع الهرم . . وانتقى مقهى لم يدخله من قبل . . لاشك أن بهذا المقهى تليفوناً . . وجلس برهة يشرب فنجان قهوة ثم قام إلى التليفون . . وأدار الرقم . . وسمع صوتاً غليظاً متسرعاً . . لاشك أنه صوت عبد الله بهنس . . وقال وهو يتعمد الهدوء :

ــ السيد عبد الله ؟

وأجاب عبد الله فى ضيق :

ــ من ؟

وقال مرتضى محتفظاً بهدوئه :

ــ صديق ربما تعرفه . . وحتى لا أشغل وقتك أحب أن أبلغك أن الأوراق كلها معى . .

وقال عبد الله كأنه دهش :

ــ أية أوراق ؟

وقال مرتضى وهو يبتسم بينه وبين نفسه :

ــ أوراق الخزانة التى كانت فى بيتك وفقدتها . .

وتلجلج عبد الله برهة كأنه فوجىء ، ثم قال فى صوت أكثر استقراراً كأنه ينوى أن يبحث الموضوع :

ــ وماذا تريد أن تفعل بهذه الأوراق ؟

وقال مرتضى وكأنه ينتقى كل كلمة يقولها :

ـ إن الأوراق معى ولكنى لا أملكها . . لست أنا الذى أخذتها وسطوت على البيت . . إنى فقط مكلف بأن أتصل بك وأعرضها عليك . . وأصحابها لهم مطالب . .

وقال عبد الله وهو يفتعل ضحكة ساخرة :

ـ أى مطالب ؟

وقال مرتضى وهو متمالك كل هدوئه :

ـ إنهم يريدون خمسين . .

وصاح عبد الله :

ـ خمسون ماذا . . ؟

قال مرتضى فى لهجة قوية :

ـ خمسون ألف جنيه . .

وصرخ عبد الله فى التليفون :

ـ إنه ابتزاز قذر . . يريدون أن يستمروا فى السرقة . . يريدون أن يسرقوا أكثر مما سرقوه . .

وقال مرتضى وهو يقاوم نفسه حتى يبقى صوته هادئاً :

ـ الأمر أمرك يا عبد الله بيه . . ولك أن تقرر ما تشاء . .

وسكت عبد الله برهة كأنه يلتقط أنفاسه وقال بعد تفكير :

ـ اسمع . . إن هذه الأوراق لاتستحق شيئاً . . إنها مجرد سجلات لبعض أعمالى . . ولكن يهمنى أن أستردها وأحتفظ بها . . وسأدفع عشرين . .

وقال مرتضى بعد أن تردد برهة

ـ سأقول لهم وأرد عليك غداً . . انتظرنى على نفس الرقم . .

وقال عبد الله كأنه يجرب بلا أمل :

ـ مادمت تقول أنك صديق . . هل أستطيع أن أعرف من أنت ؟

وقال مرتضى بسرعة :

ـ ستعرفنى يوم نلتقى . .

ثم ألقى سماعة التليفون فى عنف وبلا تحية . .

★ ★ ★

وعاد إلى البيت . . إلى السراى . . وهو ساهم . . هل يقبل المبلغ الذى عرضه عليه بهنس وينتهى أم يعود ويساوم . . أم يعدل عن الخطة كلها ويكتفى بالعمليات التى يقوم بها محروس . . إنه أكثر أماناً وهو خلف محروس . . ولكن لا . . إن مشروعاته كبيرة تشمل المستقبل كله . . ويجب أن يجازف بلا خوف . . وفهيمة تطوف من حوله ولا يهمها ما هو ساهم فيه . . لا يهمها إذا تكلم أو لم يتكلم وكلما التفت بعينيه واجهته بالنظرة التى تسأله . . ماذا تريد منى ؟

وفى صباح اليوم التالى ارتدى الجلباب الذى يعتقد أنه يتنكر به وركب السيارة إلى شوارع وسط القاهرة . . ودخل مقهى غير المقهى الذى دخله أمس . . قد يكون عبد الله قد وضع مراقبة على تليفونه ليعرف من أين يتكلم فيجب أن يتكلم فى كل مرة من مكان آخر . . ولكنه وجد التليفون فى المقهى الذى دخله موضوعا على مائدة وسط الناس . . وترك المقهى بسرعة ودخل مقهى ثانيا ثم ثالثا إلى أن وجد مقهى يقوم فيه التليفون داخل حواجز مغلقة من الزجاج . . إنه سيتحدث طويلا ولا يريد أن يسمعه أحد .

وأدار الرقم وسمع صوت عبد الله فوراً وبعد أول رنة من رنات الجرس . . وقال له دون تحية :

— الجماعة تنازلوا عن مبلغ كبير .. ولن يقبلوا أقل من ثلاثين ألفاً ..

وقال عبد الله فى هدوء وكأنه لم يفاجأ :

— المبلغ كبير .. ولكن معلهش .. الأوراق تهمنى فعلا .. كيف يكون التسليم والتسلم ..

وقال مرتضى وهو يبتسم فى راحة كأنه انتهى على الأقل من الاطمئنان على ما سيصل إليه :

— اسمع سيادتك .. وخذ بالك من كل كلمة .. هذا المساء فى الساعة السادسة والنصف أى قبل أن تغيب الشمس تخرج من بيتك .. وتعبر الكوبرى إلى الشاطىء المقابل من الترعة وتسير إلى أن ينتهى الشارع المسفلت وتدخل إلى الطريق الترابى .. وتكون طبعاً وحدك وتحمل المبلغ فى أوراق ملفوفة وليس فى حقيبة .. وطبعاً لن يكون معك سلاح .. وأحب أن أقول لك أن الجماعة سيكونون مختبئين فى طول الطريق حتى يطمئنوا إلى أنك لاتشرك معك أحداً سواء من رجالك أو من رجال البوليس .. ولن تراهم ..

وقال عبد الله فى صوت ساهم كأنه يتتبع كل كلمة يسمعها :

— ومن سأراه للتسليم والتسلم ؟

وقال مرتضى فى بساطة :

— أنا ..

وقال عبد الله كأنه يفكر لنفسه :

— وكيف أطمئن وأنا وحدى وأقابل رجلا لا أعرفه .. ربما كان فى نيتك أن تقتلنى ..

وقال مرتضى بسرعة :

— معاذ الله ياسى عبد الله .. إن العملية تسليم وتسلم ، ولا يمكن أن تثير مثل هذه الوساوس .. وقد حدد الجماعة موعد اللقاء قبل أن تغيب الشمس حتى تطمئن أكثر .. إنه موعد يكون فيه الفلاحون عائدين من الحقل إلى البيت .. وسيتم اللقاء وتستطيع أن تعتمد على المارة شهوداً إذا تجرأ أحد منا على الآخر ..

وسكت عبد الله برهة يفكر ثم قال فى حدة :

— إذا تسلمت الأوراق فربما يكونون قد التقطوا منها صوراً يعودون إلى تهديدى بها ..

وقال مرتضى فى صوت يحاول أن يكون مقنعاً :

— اطمئن يا عبد الله بيه .. إنى أحادثك بصراحة .. لقد التقطت فعلا صوراً لهذه الأوراق .. ولكن لمجرد الحماية لا التهديد .. وثق بى .. إنى أقوم بهذه العملية مضطراً ولكنك عندما ترانى وتعرفنى ستثق بى ، بل أطمع فى أن تبقى العمر معاً كأصدقاء .. وسيجد كل منا الخير مع الآخر ..

وقال عبد الله في زهق من حيرته :

— اتفقنا .. سلام ..

وألقى سماعة التليفون دون أن ينتظر رد مرتضى ..

وترك مرتضى التليفون وهو يتلفت حوله .. ربما كانت على تليفون عبد الله بهنس رقابة عرف البوليس من أين يتكلم وجاء للقبض عليه .. لا .. الحمد لله .. إن عبد الله لم يشرك معه البوليس .. إنه لا يريد أن تصل أوراقه الى البوليس .. ولا شك أنه سيأتى فى الموعد .. إنه رجل مجازف .. إن حياته كلها سلسلة مجازفات .. وسيجازف لاسترداد أوراقه التى تكشف أدق وأقذر أسراره .. والمبلغ الذى سيخسره يعتبر لاشىء بالنسبة لعبد الله بهنس .. إن أوراقه تحمل أرقاما تصل الى مئات الألوف كان يدفعها كرشاوى لأصحاب

التوقعيات . . ربما كان مرتضى غبياً حماراً لأنه اكتفى بهذا المبلغ الصغير . . ثلاثون ألفاً . . كان يجب أن يبدأ بمائة ألف ولا يتنازل عن خمسين ألفاً . . هذا نصيبه . . نصيب الأغنياء . . ولكن لماذا يجازف إلى حد أن يذهب وحده . . لقد كذب على عبد الله وقال له أن « الجماعة » سيراقبون الطريق . . ولكنه فى حاجة فعلا لمن يراقب له الطريق . . من يدرى . . ربما جاءه عبد الله مسلحاً وأطلق عليه النار حتى لو رآه كل الناس . . إنه يقتل اللص الذى سرقه . . وسأل مرتضى نفسه . . هل كان يمكن أن يصحب معه محروس وهو يحمل بندقيته ليحميه . . لا . . مستحيل . . إن العملية كلها يجب ألا يعرف عنها محروس شيئاً . . إن خطته تقوم على إبعاد محروس وعدم مقاسمته فيما يأخذه نظير الأوراق . . سيكون وحده . . ويجب أن يزود نفسه بالجرأة ويرمى نفسه فى المجازفة . . وكله على الله .

وجلس داخل البيت . . السراى . . هائماً فى الخطة . . وجاءت فهيمة بصينية الغداء ووضعتها أمامه وقالت فى لهجتها المتعالية بعد أن رأته ساهماً :

— الأكل ياسى مرتضى . .

وقال مرتضى دون أن ينظر إليها :

— لن آكل . .

ولم ترد عليه فهيمة وحملت صينية الغداء من أمامه وابتعدت بها . .

وفى الساعة السادسة كان قد ارتدى قميصاً وبنطلوناً . . لم يرتد البذلة كاملة . . وأخرج الأوراق من الحقيبة الأنيقة التى اشتراها ولفها فى أوراق جريدة ، ثم أمسك بعصا وخرج سائراً على قدميه . . إنه يريد أن يبدو كأنه يتمشى على شاطىء الترعة قبل الغروب كما كانت عادته أحياناً حتى لا يثير اهتمام أحد ممن قد يقابلهم من الفلاحين .

ووقف قليلا بجانب ساقية مقامة على الطريق يتلفت باحثاً . . لقد جاء عبد الله بهنس . . إنه يراه من بعيد فى طريقه إليه . . وهو وحده . . وفى يده لفافة . . وبلا تردد ابتعد عن الساقية سار إليه فى خطوات هادئة لا تهتز . .

ورفع إليه عبد الله بهنس عينيه فى دهشة وقال وهما يتصافحان :

— إنى أعرفك . . أنت السلامونى . .

وقال مرتضى مبتسما :

— مظبوط . . أنا السلامونى . . وقد سبق أن تشرفت بزيارتك . . و . . تفضل . .

إنه يريد أن يتسلم المبلغ قبل كل شىء . . وتسلم منه عبد الله اللفافة وهو يبتسم ساخراً ثم ناوله لفافة الأموال وهو يقول كأنه يهزأ به :

— تفضل . .

والتقط مرتضى اللفافة فى لهفة وفتح طرفاً منها بأصابعه وألقى عليها نظرة سريعة . . إن كل ألف مجموعة فى رباط . . وأخذ يعد الألوف بأصابعه . . ألف . . ألفين . . ثلاثة . . بينما يسير بجانب عبد الله فى الطريق . . وعبد الله فتح اللفافة وهو يسير بجانب مرتضى وأخذ يراجع أوراقها بسرعة دون أن يقرأها ورقة ورقة . .

وقال دون أن يلتفت الى مرتضى :

— إنى مندهش . . لم أكن أتصور أن تكون أنت . . ما الذى دفعك إلى كل هذا ؟

وقال مرتضى بعد أن انتهت أصابعه من تعداد أربطة الألوف واطمأن إلى أنها ثلاثون ربطة :

— إنها حكاية طويلة عجيبة . . إن الذين سطوا على بيتك حاولوا السطو على بيتى قبلك . . حاولوا أن يسرقونى قبل أن

يسرقوك . . ولكني صادفتهم داخل البيت قبل أن يبدأوا فى عمل السرقة . . ورأيت أخذهم بالمعروف فأخذت أتجادل معهم حتى عدلوا عن السرقة . . وأقنعتهم أننا أصبحنا أصدقاء . .

وقال عبد الله وقد انتهى من مراجعة الأوراق واطمأن هو الآخر :

ـ ولماذا لم تبلغ عنهم بعد أن تركوك ؟

وقال مرتضى كأنه يستعرض ذكاءه :

ـ لماذا . . إنى أولا لم أكن أستطيع أن أقاومهم فقد كنت وحدى فى البيت وكانوا يحملون السلاح . . وقد عدلوا عن سرقتى واطمأنوا إلى كلمة الشرف بيننا فلماذا أبلغ عنهم . .

وقال عبد الله مندهشاً :

ـ ولكن كيف كلفوك بأن تشترك معهم ؟

وقال مرتضى وهو يخفى عينيه كأنه يدارى ذكاءه :

ـ أنا لست شريكاً لهم فى أى شىء . . كل ما هناك أنهم أصبحوا فعلا أصدقاء . . وكانوا يأتون لزيارتى فى بيتى . . وأنا أعرف أنهم لصوص . . عصابة . . وهم يعرفون أنى لن أبلغ عنهم . . ولكنهم لم يكونوا يقولون لى شيئاً عن عملياتهم . . ولم أعرف أنهم هم الذين سرقوك إلا بعد أن تمت العملية بأسابيع . . وقد جاءونى ومعهم هذه الأوراق وطلبوا منى أن أكون رسولا بينهم وبينك ، ولم أقبل إلا بعد أن قرأت الأوراق وقدرت خطورتها . . قدرت أنها لا شك تهمك وتريد أن تحتفظ بها سراً . . !

وقال عبد الله فى غيظ :

ـ وكيف عرفوا قيمة هذه الأوراق وهم فلاحون حتى لو كان بينهم من يستطيع القراءة فلن يفهم شيئاً فى هذه الأوراق . .

وقال مرتضى مبتسما :

ـ لا يا عبد الله بيه . . إنهم ليسوا فلاحين . . إنهم شبان من المدينة . . وشبان مثقفون . . إن بينهم واحدا خريج كلية الحقوق . . إن العصابات الآن يتولاها المثقفون . .

وقال عبد الله ساخطاً :

ـ مثقفون . . هل تثقفوا ليسرقوا الناس . .

وقال مرتضى مبتسما :

ـ أنت أدرى بما وصل إليه الحال . . لقد أصبحنا كأمريكا . . العصابات عندنا من النوع الراقى . . مافيا . .

وقال عبد الله وهو يلوى شفتيه قرفاً :

ـ وما نصيبك أنت ؟!

وقال مرتضى مبتسما :

ـ ليس لى نصيب إلا السلامة . .

وقال عبد الله فى دهشة :

ـ ألن يكون لك نصيب فى هذه الأموال التى تحملها لهم . .

وقال مرتضى جادا كأنه يلوم عبد الله :

ـ لا . . لا أقبل . .

وقال عبد الله فى لهجة يغريه بها :

ـ لماذا لا تبلغ عنهم وتضع خطة للقبض عليهم . . وسيكون كل هذا المال لك وحدك . . سأتركه لك . .

ونظر إليه مرتضى نظرة لوم وقال فى لهجة أقرب الى التهديد :

ـ إنى ارتبطت معهم بكلمة شرف . . وأريدك أن تقدر تمسكى بهذه الكلمة . . ثم تصور لو أنى رفضت أن أكون رسولا بينك وبينهم ماذا كان يمكن أن يفعلوا بهذه الأوراق . . ربما كانوا باعوها

لأحد أعدائك .. ولا تنس أنهم يحتفظون بنسخة مصورة منها ..

وسكت عبد الله ووجهه تكسوه ملامح الاستسلام ..

والفلاحون العائدون من الحقول يمرون بجانبهم ويطلقون التحية بمنتهى التبجيل والاحترام .. مساء الخير .. سلام عليكم ..

وقال مرتضى بعد فترة صمت :

ـ ولكن هناك ما أتمناه منك يا عبد الله بيه ..

وقال عبد الله كأنه ساهم يفكر فى شىء آخر :

ـ تفضل واطلب ..

وقال مرتضى وكأنه يلح :

ـ تمنيت أن أعمل معك .. ولعلك تذكر أنى زرتك مرة بلا دعوة .. كنت أريد أن أكسب صداقتك حتى أعمل معك ..

وقال عبد الله فى دهشة :

ـ تريد وظيفة فى إحدى شركاتى ..

وقال مرتضى مقاطعا :

ـ لا .. لا ... أريد أن تعلمنى وتدلنى على الطريق ..

ونظر إليه عبد الله وقد بدأت تلمع فى عينيه نظرة خبيثة :

ـ هل تريد أن تقوم بعمليات لحسابك الخاص ؟

وقال مرتضى فى فرحة :

ـ ياليت ..

وقال عبد الله من خلال نظرته الخبيثة :

ـ هل لديك رأسمال ..

وقال مرتضى فى حماس :

ـ إنى أستطيع أن أدبر كل ما أحتاج إليه ..

وسكت عبد الله فترة كأنه يفكر وابتسامته الخبيثة لا تزال معلقة بين شفتيه ثم قال :

ـ إن أسهل عملية تتم هذه الأيام هى استيراد مواد البناء وخصوصاً آلات دك الأساسات .. إن الآلة تستطيع أن تبيعها فوراً بأضعاف ما تكلفته أو تستطيع أن تؤجرها يوماً بيوم فيرتفع الربح ..

وقال مرتضى ساهماً كأنه يحلم :

ـ وكم تحتاج إليه مثل هذه العملية .. أقصد كرأسمال ..

وقال عبد الله بلا اهتمام :

ـ مائتين وخمسين ألفاً .. ربع مليون ..

وابتلع مرتضى ريقه كأنه يبتلع شوكة وسكت برهة وهو يقلب أصابعه فوق لفافة الأوراق المالية التى يحملها ثم قال :

ـ على كل حال أنا فى حاجة الى دراسة إجراءات أى عملية .. إنها المرة الأولى التى أقدم فيها على عمليات استيراد ...

ووقف عبد الله عن السير برهة قائلا :

ـ إنك تستطيع أن تزورنى فى الشركة وسأدلك على كل شىء ..

وقال مرتضى :

ـ هل أستطيع أن أطمئن إلى أن سيادتك لست غاضباً منى ..

وقال عبد الله بسرعة :

ـ بالعكس .. أنا شاكر لك .. ومتأكد أننا سنكون أصدقاء .. والآن .. إلى أين يؤدى بنا هذا الطريق .. كيف أعود إلى بيتى ..

وقال مرتضى :

— إنهم يقولون أن كل من يضع يده فى يد عبد الله بهنس يكسب دائما . . وتستطيع سيادتك أن تستمر فى الطريق إلى أن تجد كوبرياً فوق الترعة فتجد نفسك فى بيتك . .

ومد له عبد الله يده مصافحاً قائلا :

— شكراً وإلى لقاء قريب . .

وقال مرتضى فرحاً وهو يضغط على يد عبد الله :

— أنا الشاكر يا عبد الله بيه . . وأتمنى أن تعتمد على دائما .

وعاد مرتضى غارقاً فى أحلامه وأصابعه تحتضن الثلاثين ألف جنيه . لقد وجد الطريق الذى يعود به ملكا ابن ملك . . ولكن هذه الثلاثون ألفاً لا تكفى . إنه فى حاجة إلى أكثر . . فى حاجة إلى محروس . . لا يمكن أن يصل إلى شىء إلا إذا اعتمد على محروس . .

★★★

(٨)

كان مرتضى أحياناً ينهال على نفسه باللوم ويتهم نفسه بالغباء . . لماذا يفكر فى مستقبله على أساس الاعتماد على عبد الله بهنس . . إن عبد الله لن ينسى سرقة أوراقه المالية . لو صدق أنه لم يشترك فى سرقتها . . ولماذا يبدأ بعملية كبيرة تتطلب رأس مال ضخما لا يقل عن ربع مليون جنيه كما قال له عبد الله . . إن كل ما خرج به من العملية هو مبلغ ثلاثين ألف جنيه ، فلماذا لا يكتفى بأن يبدأ بعملية صغيرة يستغل فيها هذا المبلغ ويعفى نفسه من الالتجاء إلى محروس ليقوم بعملية أخرى تدر عليه ألوفا أخرى . . ولكن مرتضى كان يعود ويعترف لنفسه بأنه فى حاجة إلى الاعتماد على عبد الله . . إنه فى الواقع لا يعلم شيئاً عن عمليات التصدير والاستراد . . إنه جاهل فى مثل هذه العمليات ، حتى لو كان عبقرياً فى تخطيط عمليات السطو . . وسيحتاج إلى وقت طويل لو حاول أن يعتمد على نفسه ويتعلم خبايا الاستيراد . . وليس أمامه هذا الوقت الطويل . .

إنه فى الثامنة والثلاثين من عمره ، ويريد أن يصل بسرعة قبل أن يفوته العمر . . ومن الأفضل له أن يعتمد على عبد الله حتى لو كان يحقد عليه ، فلا شك أنه يحفظ له جميله بعد أن رد له الأوراق ، والمبلغ الذى دفعه نظير استرداد هذه الأوراق لا يساوى شيئا بالنسبة له ، ثم إنه يحتفظ بصورة فوتوغرافية من هذه الأوراق يستطيع أن يلعب بها إذا لعب به عبد الله . . ومن الأفضل له أيضا أن يبدأ بعملية كبيرة بدلا

من أن يضيع عمره فى عمليات صغيرة لا ترد له قدره ومجده ، وقد يضيع فيها كل ما يملكه . .

ولاشك أن عملية استيراد آلات البناء التى قال عبد الله أنها تحتاج إلى ربع مليون جنيه كرأس مال يمكن أن تبدأ برأس مال أقل . . مائة ألف مثلا . . إن عبد الله يبدأ بالمبلغ الأعلى كعادة رجال الأعمال . . وهذا يفرض عليه أن يقوم بعملية أخرى مع محروس . . حتى لو لم يكن فى حاجة إلى مبالغ أخرى ، فقد كان عليه أن يضع لمحروس خطة عملية أخرى وإلا خسره وربما انقلب عليه . . إن محروس ليس معه إلا لأنه يطمع فى أن يرشده إلى عمليات السطو . . ولكن . . ما هى الخطة الجديدة التى يمكن أن يضعها لمحروس . . أى بيت يرشده إليه لكى يسطو عليه . . لقد أصبح فى مصر ألوف البيوت التى تغرى بالسطو وتستحق أن تسرق ولو لمجرد تأديب أصحابها . . ولكنه يجب أن يختار بيتاً يستطيع أن يضع لمحروس خطة السطو عليه . . بيت يعرفه . . إنه لم يضع لمحروس خطة سرقة بيت عبد الله بهنس إلا لأنه كان يعرف البيت وكانت لديه معلومات عنه . .

وتاه فى أفكاره يبحث عن البيت الذى يختاره . . ولكنه كان قد انتهى من التصميم على أن يشترك فى عملية أخرى . . إنه كأبيه ملك ابن ملك حتى لو كانوا يعتبرونه الآن لصاً ابن لص . . وأبوه عبد السلام السلامونى - رحمه الله - لم يكتف بعملية واحدة رغم أن العملية الأولى كان يمكن أن تكلفه العمر كله . .

وتاه خياله وهو يتذكر العملية الأولى التى قام بها أبوه وبين شفتيه ابتسامة كأنه يترحم بها على الماضى المجيد ، كان ذلك فى العام الأول للثورة ، ودخل أبوه يوماً إلى البيت وأخذ أمه واختلى بها فى الحجرة وأخرج من جيبه مشبكاً كبيرا فى حجم نصف الكف وكله من فصوص الماس والزمرد . . وقد رأى مرتضى هذا المشبك فيما بعد وحكت له أمه قصته . . لقد كان أبوه يتولى تصفية قصور وأملاك العائلة المالكة عائلة فاروق . . وبهرته الحلى التى عثر عليها ، وحمل كمية منها

ليعرضها على رئيسه ، وبهر بها الرئيس أيضاً وعندما هم والده أن يجمعها ليعود بها إلى خزائنها . . مد الرئيس يده إلى قطعة منها قائلا فى سعادة :

— اترك هذه هنا يا عبد السلام . .

وتركها عبد السلام وخرج وهو يؤمن بشعار جديد أعلنته الثورة . . شعار يهتف . . أن كل ما كانت تملكه العائلة المالكة أصبحت تملكه عائلة الثورة . . وبدأ بتطبيق هذا الشعار على نفسه فأخذ هذا المشبك الذى عاد به إلى بيته . . ولم يأخذ غيره حتى لا يحرم الباقين من أفراد عائلة الثورة . .

والغريب أن أباه لم يحاول أن يبيع هذا المشبك ويغتنى بثمنه . . ربما لأنه لم يكن سهلا أن يبيعه . . وربما لأنه قام بعد ذلك بعمليات ثورية متعددة خرج منها بما يغنيه عن ثمن هذا المشبك . . وحتى بعد أن بدأ يسافر إلى الخارج لم يحمل معه هذا المشبك مرة ليبيعه فى الخفاء فى لندن أو فى جنيف بعيداً عن أعين الحاقدين الغيورين . . إنما ظل المشبك مختفياً فى دولاب أمه . . تخرجه أحياناً وتشبع به عينيها فى نظرات شهية ، أو تتحلى به على صدرها دقائق ثم تعيده إلى مخبئه ، فلم يكن مسموحاً أيامها أبداً لأى امرأة وخصوصاً نساء الثورة بأن تظهر أمام الناس أو فى الحفلات وهى تتحلى بمجوهرات غالية حتى لو كانت من مال حلال . .

ومرت السنوات . . ونسى مرتضى وإخوته وربما أبوه وأمه وجود هذا المشبك بينهم . . إلى أن تزوج مرتضى من نسليار . . كان أبوه هو الذى اختارها له ليتشرف بنسب العائلات القديمة كباقى ملوك الثورة . . وقد قدم أبوه شبكة متواضعة للعروس قبل الزفاف حتى لا يفضح ثراءه كما كانت العادة . . وبعد الزفاف بأسابيع جاء أبوه لزيارة العروسين وفاجأهما بأن أخرج من جيبه هذا المشبك وأعطاه لنسليار وهو يقول من خلال ابتسامته :

— احتفظى بهذه الحلية . . احتفظى بها فى دولابك كما كانت

تحتفظ بها حماتك . . إنها هدية لك فرحاً بك ، ولكن لا تظهرى بها أمام الناس ولا تريها لأحد حتى لا تثيرى الحسد والأقاويل .

وجنت نسليار من الفرحة وعيناها تلتهمان فصوص الماس . .

وانحنى مرتضى يقبل يد أبيه شكراً وحباً . . إن أباه يحبه ويعطيه كل شىء . . الملك يعطى ولا يبخل بشىء على ابنه ولى العهد . .

وقد حرصت نسليار على تعليمات أبيه وخبأت المشبك فى دولابها كما كان مختبئا فى دولاب أمه ، ولم تترك عينى أحد تصل إليه إلا عينى أمها .

وبعد أن طرد أبوه من رحاب الملك وفرضت الحراسة عليه وعلى أولاده استطاعت أم نسليار أن تخفى المشبك عن أعين الحراسة كما أخفت كثيرا من الأشياء الصغيرة الثمينة . . والحراسة لم تكن مفروضة على أم نسليار ولم تفتش وراءها . .

وهو يذكر عندما تم الطلاق بينه وبين نسليار أنه نسى هذا المشبك . . كان من حقه أن يأخذه . . إنه هدية من والده أى منه ، ومن حقه أن يحمله معه وهو يخرج من البيت . . ولكنه نسيه . . ثم بعد أن تذكره كان من العبث أن يطالب به . . ربما أبلغت أم نسليار الحراسة عنه فاستولت عليه . . وربما حتى تسكته أعطته الألفى جنيه التى أعطتها له نظير الطلاق وإن كانت أيامها قد ادعت أنها تعينه على فقره . .

وقد عاد ونسى المشبك بعد ذلك . .

وتزوجت نسليار بعد أن طلقها بسنوات . . تزوجت فى العهد الجديد ، وبعد أن انقلب كل شىء وألغيت الحراسات ولم يعد أحد يخاف من أن يعلن عما وهبه الله حتى لو كان قد استعان بالله على السرقة . . تزوجت راجى أحمد معتز . . وهو من رجال الأعمال المعروفين ، وصل إلى درجة أصحاب الملايين واستطاع أن يكسب ثقة الدولة حتى أصبح مرشحاً بصفة دائمة لتولى الوزارة ، وقيل أنه هو

الذى يعتذر عن قبول الوزارة لأنه أذكى من أن يضيع وقته كوزير . . وقد عاد مرتضى وتذكر المشبك عندما قالت له أخته كوثر أنها سمعت أن نسليار أصبحت تبدو مع زوجها فى الدعوات الرسمية وغير الرسمية وهى تتحلى بالمشبك الذى يبهر كل الأبصار ، حتى أصبح الناس يتحدثون عن مشبك نسليار أكثر مما يتحدثون عنها هى . . وسمع هذا الكلام وتنهد متحسراً . . إنه لا يستطيع الآن أن يطالب به ولا حتى يستطيع أن يدعى حقه فيه . . فليس عنده ما يثبت ملكيته له . . إنه مشبك مسروق . . ثم إنه لو أثار أى مشكلة مع نسليار أو أمها فإن زوجها من القوة التى يستطيع بها أن يخسف به فى يومين . . لا . . الله الغنى . . ولكن . .

إن هذا المشبك كان يساوى على الأقل مائة ألف جنيه ، وربما يساوى الآن بعد أن ارتفعت الأسعار فى كل العالم أكثر من مائتى ألف . . يساوى الربع مليون التى طلبها منه عبد الله بهنس . .

وهو يستطيع أن يرجح أين تحتفظ نسليار بهذا المشبك . . فهى بعد أن تزوجت راجى أقامت معه فى بيت أمها . . القصر القديم الذى تملكه فى المعادى منذ أيام ما قبل الثورة . . وهو يعرف الغرفة المخصصة لنسليار فى هذا القصر والتى لاشك أنها تزوجت فيها . . ويعرف أنها تعودت أن تحتفظ بمجوهراتها فى علبة كبيرة من الحديد تغلق بأرقام سرية وتضعها على الرف الأعلى داخل دولابها . . إنه يستطيع أن يرسم كل التفاصيل لمحروس . . ولن يخاف على نفسه ولا على محروس من قوة ونفوذ وسطوة راجى أحمد معتز . . إنه ليس أقوى من عبد الله بهنس الذى سبق أن خطط عملية السطو على بيته . .

وابتسم مرتضى كأنه يحمد الله أن هداه . .

إنه لن يسرق ولكنه يأخذ حقه . . يسترد أملاكه . .

وجاء الموعد الذى سبق أن حدده لمحروس وجلس فى انتظاره . . لقد سبق أن اتفق معه على أن يأتى إليه فى النهار . .

(٩)

وجاء محروس مرتدياً القميص والبنطلون . . وكان قد دخل من المدخل الرئيسى للأرض فصاحبه عبد الرازق حتى وصل به إليه قائلا :

ــ هذا الجدع طلب أن يدخل يا سعادة البيه . .

وقال مرتضى دون أن يتحرك من جلسته :

ــ أهلا وسهلا . . دعنا يا عبد الرازق . . إنه من رجالى فى مصر . .

ونظر عبد الرازق إلى محروس بعينين تفيضان بالشك والدهشة ثم نقل عينيه إلى مرتضى كأنه يستحلفه أن يكون صادقا . . ثم تركهما وابتعد . .

وقال مرتضى بلا مبالاة :

ــ هل عرفك أحد ممن هنا . .

وقال محروس وهو يبتسم ابتسامة ساخرة :

ــ لن يعرفنى أحد وأنا بالبنطلون . .

وقال مرتضى بلا ابتسام :

ــ وما أخبارك ؟

وقال محروس وهو يتنهد فى زهق :

ـ لا أخبار إلا أنى انتقلت إلى مصر ووجدت مسكناً فى حى الشرابية . . ولست سعيداً يا سعادة البيه . . ولا أدرى لماذا طلبت منى أن أنتقل وأقيم فى القاهرة . .

وقال مرتضى فى هدوء :

ـ أردت أن أبعدك عن كل من يعرفونك حتى تعمل فى حرية وأمان . . اعتبر نفسك مختبئاً فى القاهرة . .

وقال محروس ساخطاً :

ـ والله زهقان يا بيه . . وأحس بأنى وحدى وأخاف أن يضبطوا سلاحى ولو أنى خبأت البندقية فى صندوق مقفول . . وربنا يستر . .

وقال مرتضى وهو يبتسم له كأنه يواسيه :

ـ استحمل يا محروس واطمئن . . هذا هو الأفضل لك . .

وقال محروس وقد عادت اللمعة إلى عينيه :

ـ المهم يا بيه . . الأخبار دائماً عند سيادتك . . هل تصرفت سيادتك فى الأوراق ؟

وقال مرتضى ناهراً وكأنه كان يحسب حساب هذا السؤال :

ـ اسمع يا محروس . . هذه الأوراق لن تخرج منها بشىء . . لقد أردتها لأعرف منها كيف يعمل بهنس وأدرس مشروعاته لأقوم بمثلها . . ويوم يوفقنى الله فى مشروع فلن أنساك . . والأوراق لاتزال عندى . .

وكان مرتضى ينوى لكى يؤكد أقواله لمحروس أن يريه الصور التى التقطها للأوراق . . وهو لن يفرق بين الصورة والأصل . . ولكن لم يبد الشك على محروس فى أقواله فاستطرد قائلا وهو يبتلع كذبته :

ـ المهم أن نفكر فى عملية أخرى يوفقنا الله فيها كعملية بهنس . .

وقال محروس فى لهفة :

ـ وهل فكرت سيادتك ؟

وقال مرتضى فى لهجة الزعيم والأستاذ :

ـ فكرت . . ولكن قل لى . . هل تستطيع أن تقوم بعملية خارج المنطقة . . بعيداً عن ترعة المنصورية . .

وقال محروس وهو ينظر إليه فى حماسة :

ـ أين ؟

وقال مرتضى بسرعة :

ـ فى المعادى ؟

وقال محروس كأنه يناقش نفسه :

ـ إنى لم أعمل فى المعادى من قبل . . ولكن ممكن يا بيه . . المهم أن نطمئن على الأحوال . .

وقال مرتضى يعلن خطته :

ـ إنه بيت كبير قديم هناك . . وصاحبه يغادره هو وزوجته كل يومى خميس وجمعة ويذهب ليستريح هو وزوجته فى أرض يملكها . . قد تبقى حماته فى البيت ولكنها سيدة عجوز عمرها فوق السبعين ، وهى تقريباً مشلولة وتعودت أن تنام بعد تناول الحبوب المنومة . . وليس فى البيت إلا خفير واحد أعرفه . . إنه حشاش يبدأ الحراسة بالحشيش حتى ينام . . إنها عملية طبق الأصل للعملية التى قمت بها فى بيت بهنس . .

وقال محروس مدققا :

— ومن هو صاحب هذا البيت :

وقال مرتضى فى هدوء الأستاذ :

— إنه بيت تملكه أساسا المرأة العجوز جلفدان هانم ، ولكن لاشك أنه أصبح يحمل اسم زوج ابنتها . . راجى معتز ، إنه من الأغنياء ربما كان أغنى من عبد الله بهنس . .

وقال محروس فى دهشة :

— إنى أعرف هذا الاسم . . إن الأرض التى يملكها تقع على المنصورية قريبة من بلدنا برقاش . .

وقال مرتضى وهو يبتسم ابتسامة ساخرة :

— هذا صحيح . . إن أرض المنصورية أصبحت مهبط أولاد الذوات أصحاب الملايين . . خذ بالك . . هناك فرق كبير بين البيت الذى يقيم فيه الانسان والبيت الذى يقضى فيه أجازته وراحته . . وقد كان بيت بهنس مخصصا للراحة ، أما بيت راجى فى المعادى فهو البيت الذى يقيم فيه . . هل تريد أن أحكى لك عن مداخل هذا البيت . .

وقبل أن يرد محروس جذب مرتضى ورقة من جانبه والتقط قلما واستطرد قائلا وهو يخطط على الورقة :

— الحديقة عند المدخل ليست واسعة . . ثم تصعد بضع درجات إلى باب البيت . . إنه باب حديد كبير مغلق دائما ولكنه لا يغلق بالمفتاح . . وتدخل . . ولا تهتم بالدور الأول . . ستجد فى مواجهتك درجات . . عشر درجات تأخذك إلى الدور الثانى . . وهنا غرفة السيدة العجوز . . لا تدخلها . . وهنا غرفة نسليار . . أقصد غرفة صاحب البيت راجى معتز . . وهى ليست غرفة واحدة . . إنها غرفتان فى غرفة . . وستجد هنا دولابا إذا فتحته تجد فى الرف الأعلى علبة كبيرة من الحديد . . لن تستطيع أن تفتحها ، وستضطر إلى أن

تحملها كما حملت خزانة بهنس . . وطبعا ستجد حولك الكثير من القطع الغالية التى يسهل حملها . .

وقال محروس فى دهشة بعد أن تتبع كل خطة مرتضى على الورقة :

— كأنك عشت فى هذا البيت .

وقال مرتضى كأنه يحادث نفسه :

— لقد كان بيتى يوماً ما . .

ولم تزد دهشة محروس ولم يحاول أن يتقصى ما سمعه . . كيف كان هذا البيت بيته . . وقال كأن كل شىء خارج عمله لا يهمه :

— إنها عملية تحتاج إلى تفكير طويل . .

وقال مرتضى بسرعة :

— هل تريد أن أصحبك ليلا لأدلك على البيت . .

وقال محروس فى لهجة الخبير :

— لا . . أفضل أن أعتمد على نفسى . . وسأعرف البيت وكل ما أنا فى حاجة إلى معرفته . .

وقال مرتضى وهو ينظر إلى محروس بكل عينيه :

— اسمع يا محروس . . ساكون صريحا معك كما تعودت دائما . . إن كل ما أريده نصيبا لى من هذه العملية هو مشبك من الماس ستجده فى العلبة الحديد التى حدثتك عنها . . والباقى لك . . لا أريد شيئاً آخر . . وستجد بإذن الله أضعاف أضعاف ما يساويه هذا المشبك . .

وقال محروس بلا اهتمام وكأنه واثق أن كل شىء سيكون بين يديه يعطيه أو لا يعطيه :

— أليست عند راجى معتز أوراق تهمك ؟

وقال مرتضى مبتسما :

ـ ليست عندى فكرة عما لديه من أوراق . . ولكنك إذا وجدت أوراقاً فاحملها معك . . ولكن يجب أن تكون أوراقا هامة سرية ولكى تتأكد أنها سرية يجب أن تجدها مخبأة . . أى أن صاحبها حريص على ألا تظهر هذه الأوراق لأحد . .

متى تعتقد أنك ستقوم بالعملية ؟!

وقال محروس وهو ساهم بعينيه :

ـ الله أعلم . . إنى فى حاجة إلى فكر طويل ، ويجب أن أطوف المعادى شارعا شارعا حتى أعرف كيف سأتصرف . .

وقال مرتضى متسائلا :

ـ وكيف ساعرف أنك قررت أن تبدأ ، واليوم الذى ستبدأ فيه . . وكما قلت لك . . يجب أن تختار ليلة الجمعة وتكون قد تأكدت أنهم ذهبوا لقضاء الليلة فى العزبة . . هل أنتظرك كل صباح أمام الترعة لتمر من أمامى فأعرف أن الليلة هى الموعد كما سبق أن اتفقنا . . ولو أنك الآن تستطيع أن تدخل بيتى علنا . .

وقال محروس مبتسما ابتسامة محترمة :

ـ لا يابيه . . إنى لم أسترح إلى عبد الرازق . . ويوم أعمل بإذن الله سأرسل لك الواد برهومة ليمر أمامك على شاطىء الترعة . . برهومة الذى كان معى يوم تشرفنا بزيارتك وتعارفنا . . لعلك تذكره . .

وسرح مرتضى برهة يحاول أن يتذكر ثم قال :

ـ أذكره . . إنه القصير . .

وقال محروس وهو يقوم واقفا :

ـ فعلا . . إنه قصير . . ولكنه جن مصور . . وبعد إذنك

يا سعادة البيه . . السلام عليكم . .

واستوقفه مرتضى قائلا :

ـ إننا نتفق كيف سأراك بعد أن تنتهى العملية . . بعد شهر على الأقل من إتمامها كما عودتك . .

وقال محروس متعجلا :

ـ سأمر عليك هنا . . بالليل . . كما سبق أن كنا نفعل . .

وقال مرتضى مبتسما :

ـ إنى لست وحدى الآن يا محروس . . إن معى زوجة . . ولا أريدها أن تلحظ تسللك بالليل إلى داخل البيت . .

وقال محروس وهو يرد على ابتسامته :

ـ سمعت عن زواجك يابيه . . البلد كلها تحكى حكاية هذا الزواج . . سعادة البيه تزوج فلاحة . .

وقال مرتضى وهو يضحك ضحكة خافتة :

ـ ما أنا أيضا أصبحت فلاحا يا محروس . . منذ سنوات وأنا فلاح . .

وقال محروس وهو ينظر نظرات جادة دون أن يشترك فى ضحكة مرتضى :

ـ المهم ياسى مرتضى . . أنا لا أستطيع أن أمشى فى النهار وسط الفلاحين وأنا أحمل ما قد يرزقنا الله به . . ولا أستطيع أن أدخل إليك من تحت عينى عبد الرازق أو الخفير عبد المحسن . . ولتبحث سيادتك عن طريقة لقاء أخرى . .

وسكت مرتضى برهة باحثا فى أفكاره ثم قال :

ـ اتفقنا يا محروس . . تعال إلى كما تعودت أن تجىء بعد

منتصف الليل وسأجد وسيلة لابعاد امرأتى فهيمة . .

وقال محروس كأنه يحذره :

ـ كن حريصا معها ياسى مرتضى . . إنها ابنة عبد الرازق . .

ورد مرتضى محتدا :

ـ إنها وأباها فى يدى وتحت أمرى ولا تحسب لهما حساباً . .

وقال محروس وهو يمد يده مرة ثانية منحنيا مصافحا يد مرتضى :

ـ على بركة الله . . السلام عليكم . .

وقال مرتضى :

ـ مع السلامة يا محروس . . ربنا معاك . . معنا . .

وتركه مرتضى يخرج دون أن يتحرك من جلسته . . يجب أن يحتفظ بمكانته كزعيم عصابة ولا يتحرك فى وداع محروس . .

★ ★ ★

وفى صباح اليوم التالى صاح مناديا زوجته :

ـ فهيمة . .

وجاءت فهيمة بعينيها اللتين تسألانه فى تحد صامت . . ماذا تريد منى . .

وقال مرتضى :

ـ احملى يابت مقعد وضعيه على حافة الترعة . . سأجلس هناك لأشم الهواء .

إنه لايزال يناديها . . يابت . . حتى يحتفظ بمكانة السيد صاحب الأرض . ولكن فهيمة لاتناديه . . يا سعادة البيه . . حتى تحتفظ بشخصيتها كفلاحة لا تقبل أن تذل لصاحب الأرض . .

وحملت المقعد صامته وخرجت به وهو وراءها . . واختار لها المكان الذى تضع فيه المقعد ثم جلس وقال لها كأنه يغريها :

ـ اجلسى بجانبى يابت . .

وقالت فهيمة فى حدة :

ـ لا ياسى مرتضى . . ورائى أشغال . .

وقال مرتضى وابتسامته تتسع كأنه يتوسل إليها بها :

ـ يابت اجلسى . .

وقالت فهيمة فى حدة :

ـ لا . . إننا فى الصبح . . ماذا تريد أن يقول عنى الناس . . إننى خايبة وعايبه وأترك بيتى لأجلس على شاطىء الترعة . .

وتركته وجرت من أمامه . .

إنه لا يستطيع أن يكون زوجا فلاحا لزوجة فلاحة . . لا يستطيع أن يستوعب شخصية الزوج والفلاح . . وبعد قليل جاء عبد الرازق يحمل مقعدا وجلس بجانبه دون أن يدعوه . . ربما قالت له ابنته أنه أرادها أن تجلس بجانبه فجاء ليجلس ويسليه ويملأ وقته بالأحاديث نيابة عنها . .

ولم يمر برهومة من أمامه . . وهو لم يكن ينتظر أن يمر فهو يعرف أن محروس يحتاج إلى وقت طويل للتفكير ووضع خطته ، ولكنه بدأ الانتظار حتى يتجنب أى احتمال . . من يدرى ربما تعجل محروس فى هذه العملية . .

وفى أوائل المساء أرسل فى استدعاء سيارة أجرة . . ووقف فى انتظارها وهو يتحسر . . إنه يريد أن تكون سيارة خاصة . . وهو طوال عمره يهوى قيادة السيارات . . وهو يستطيع الآن أن يشترى سيارة ولكنه لن يشترى حتى لا يفضح نفسه ، ويبدأ الناس فى التساؤل من

أين حصل على ثمن السيارة . . ولن يشترى سيارة إلا بعد أن يجد عملا يعرف به ولايثير حوله الشبهات . .

وركب السيارة الأجرة فى طريقه الى مكتب عبد الله بهنس . . إنها أول مرة يزوره فيها بعد أن أتم معه العملية . . بعد أن ابتز منه ثلاثين ألف جنيه . . ومن يدرى . . ربما أعد له عبد الله كمينا يوقعه فيه عندما يزوره . . ولكن قد يكون عبد الله قد صدقه وتكون زيارته له تأكيدا لبراءته وطهارة نيته . . ولاشك أنه مضطر للمجازفة . .

فليجازف . .

★ ★ ★

(١٠)

فوجىء مرتضى باستقبال عبد الله بهنس حتى مرت به برهة ذهول وهو يواجه كل هذا الترحيب . . إن عبد الله بهنس بجلالة قدره يستقبله مبتسما ابتسامة كبيرة ويصيح به :

ــ أهلا مرتضى . . أين أنت يارجل . .

ثم أجلسه بجانبه على الأريكة التى تواجه المكتب ، وانطلق فى الحديث كأنه يحادث صديقا قديما على نفس المستوى . . مستوى أصحاب الملايين . . كأنه لم يحدث شىء يمكن أن يثير شكوك عبد الله فيه . . كأنه نسى أن أوراقه قد سرقت وأن مرتضى هو الذى ردها إليه بعد أن دفع ثمنا لها ثلاثين ألفا من الجنيهات . . وطوال الجلسة لم يشر عبد الله إلى ما حدث وإنما تشعب بكلامه إلى موضوعات عامة إلى أن قال له مرتضى وهو يتعمد رفع الكلفة بينهما كأنهما فعلا أصدقاء :

ــ لقد وعدتنى أن تدلنى على عملية أقوم بها لأخرج من حياة الكسل التى أعيشها . .

وقال عبد الله مبتسما ابتسامته التى تبدو صادقة :

ـ تقصد عملية استيراد . . بسيطة . .

وقال مرتضى كأنه يعترف بخيبته :

ـ ولكنى لا أعرف شيئاً . . لا أعرف كيف أصل إلى الشركات التى أستورد منها ولا كيف أتعامل معها . .

وعاد عبد الله يقول من خلال ابتسامته :

ـ بسيطة . . سأدلك على كل شىء . . وأولا يجب أن تحدد ما تريد استيراده . . وأنا كما قلت لك أنصحك بأن تستورد آلات بناء . . خصوصاً آلات الحفر . . وسأدلك على اسم الشركة التى تستورد منها وكيف تتصل بها . . وبعد أن تحدد النوع والمواصفات تفتح اعتمادا فى البنك الذى تتعامل معه باسم هذه الشركة . . وبعد أن يصل الاعتماد إلى الشركة ببضعة أشهر ستجد الآلات بين يديك . . وأنصحك أن تشترط دائما أن يكون التسليم فى الموانى المصرية حتى توفر على نفسك متاعب الشحن التى تسببت فى ضياع كثير من عمليات الاستيراد . .

وسكت مرتضى يستوعب كل هذه الكلام ، ثم قال مترددا :

ـ أقول لك الحق يا عبد الله بيه . . فأنت تعرف أن الحراسة كانت مفروضة علينا ، لذلك لم أكن أستطيع أن يكون لى أى حساب فى أى بنك حتى لا تستولى عليه الحراسة . . بل إن والدى من قبل أن تفرض عليه الحراسة لم يكن يحتفظ بحساباته فى بنوك مصرية ، وبعد أبى احتفظت بأموالى لنفسى وفى يدى . . ولذلك لا أدرى كيف أبدأ . .

وقال عبد الله ضاحكا :

ـ كانت هذه هى عادة كل رؤوس الأموال . . أن تختبىء خارج

مصر . . أنا نفسى كنت أحتفظ بحساباتى فى بيروت وفى جدة وفى جنيف وفى كثير من بنوك الخارج . . ولكن الدنيا تغيرت يا مرتضى . أصبحت رؤوس الأموال تطمئن على نفسها وهى فى مصر . . بل إن كثيراً من رؤوس الأموال الأجنبية جاءت إلى مصر . . إن التعامل مع البنوك المصرية أصبح أسهل وأوسع من التعامل مع أى بنك خارجى . . وقد نقلت كل أموالى إلى مصر ، وأنصحك أن تخرج أموالك من تحت البلاطة وتضعها فى أحد البنوك . .

وقال مرتضى فى عجلة :

ـ أى بنك تنصحنى به ؟

وقال عبد الله وهو يبتسم ابتسامة تدارى خبثه :

ـ أنا شخصيا أتعامل مع بنك الرخاء الوطنى . . إنه بنك يقدر حالات ومتاعب المموّلين . . ولكنى لا أستطيع أن أنصحك بالتعامل مع هذا البنك لأنى أنا شخصيا أحد مؤسسيه . . ولا أريد أن أبدو كسمسار يجتذب الزبائن . .

وقال مرتضى فى حماسة :

ـ بالعكس . . مادمت أنت فى هذا البنك فإنى أطمئن أكثر . . المبلغ الذى سبق أن قدرته سيادتك للعملية مبلغ كبير . . ربع مليون . . وقد أعجز عن تدبير هذا المبلغ . .

وقال عبد الله وهو ينظر إليه نظرة حنوناً :

ـ كل مشكلة ولها حل . . وسأعرفك بمستشارى الخاص . . الدكتور سعيد زهدى . . إنه داهية عبقرى أقوى من كل المشاكل . .

وقام عبد الله ورفع سماعة التليفون يستدعى الدكتور سعيد . .

ودخل رجل أكبر سنا . . قصير . . يضع على عينيه نظارات سميكة . . ووجهه جاد دائما كأنه لا يحاول الابتسام أبدا . . وإن كان

أنيقا فى ملبسه . . وحيا بصوت خفيض وصافح مرتضى . . ثم وقف صامتا أمام عبد الله بهنس . .

وقال عبد الله فى لهجة رئيس العمل :

ــ يا دكتور سعيد . . أقدم لك صديقى وجارى الأستاذ مرتضى السلامونى . . ويهمنى أن نقدم له كل الخدمات . . وسيشرح لك الموضوع وأنا واثق أنك سترسم له الطريق السليم . .

ونظر الدكتور سعيد إلى عبد الله نظرة طويلة كأنه يحاول أن يفهمه أكثر ثم التفت إلى مرتضى قائلا بلا ابتسام :

ــ فليتفضل مرتضى بيه ويشرفنى فى مكتبى حتى نتكلم على راحتنا دون إزعاج السيد الرئيس . .

وقام مرتضى وصافح عبد الله الذى قام وهو يودعه حتى الباب :

ــ سيصلنى كل ما يستقر عليه الرأى وقطعا سأراك كثيرا . .

وقال مرتضى ضاحكا :

ــ لقد أصبحت أعتبرك ولى أمرى . . كل اعتمادى عليك . .

وقال عبد الله مودعا وهو يبتسم ابتسامة واسعة :

ــ أنا الذى أعتمد عليك . . إنى مستبشر بك خيرا . . والله معنا . .

وجلس مرتضى أمام الدكتور سعيد زهدى فترة طويلة وكأنه تلميذ مبتدىء يتلقى الدرس الأول . . وكان الدكتور سعيد يشرح له عمليات الاستيراد . . ومرتضى يتعمد أن يكون صريحا ويسأل أكثر . . إنه يريد أن يفهم ويستوعب كل التفاصيل التى تصل به إلى مرتبة كبار رجال الأعمال . .

★ ★ ★

وأصبح مرتضى يخرج كل صباح ويجلس على شاطىء الترعة فى انتظار أن يمر من أمامه برهومة حتى يعلم أن محروس قد قرر أن يقوم الليلة بعملية السطو على بيت راجى معتز . . بيت نسليار . . وبين كل يومين أو ثلاثة يذهب فى المساء إلى شركة عبد الله بهنس ولكنه كان لا يقابل عبد الله وكان يكتفى بلقاء الدكتور سعيد ، ويستزيد منه المعلومات عن الاجراءات . . وقد طلب مرتين أن يقابل عبد الله . . ولكنه مشغول . . آسف . . ومرتضى لا يشك . . من الطبيعى أن يكون عبد الله مشغولا فعلا . . إن أعماله تشغل مصر كلها ، ولا وقت لديه يقضيه فى مجاملة أحد الأصدقاء ، وخصوصا أن مرتضى لم يتخذ أى خطوة يعلم بها ، وتحثه على مقابلة مرتضى . . .

والأيام تمر وبرهومة لا يبدو على شاطىء الترعة . . إن مرتضى يعلم أن محروس يستغرق وقتا طويلا فى التفكير وفى الدراسة وفى اكتشاف المنطقة التى سيقوم فيها بالعملية قبل أن يقوم بها . . ولكن مرتضى يحس أنه يجب أن يقوم بأى خطوة حتى يطمئن عبد الله بهنس إلى أنه جاد فى مشروعه وتستمر العلاقة بينهما . .

وفى يوم انتظر على شاطىء الترعة حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا ولم يمر برهومة . . لا يمكن أن يمر بعد هذا الوقت . . وقام ودخل حجرته وارتدى بدلته بسرعة بعد أن اطمأن إلى أن زوجته فهيمة فى دار أبيها تعد طعام الغداء أمام الفرن . . وفتح دولابه الخاص وأخرج اللفافة التى تضم الثلاثين ألفا وأخرج منها عشرين ألفا . . إنه لم يأخذ شيئا من هذا المبلغ منذ احتفظ به ، وكان معتمدا على بقية المبالغ التى أمده بها محروس . . وشد حقيبة الأوراق الأنيقة وخبأ فيها العشرين ألفا ثم خرج يجرى صارخا على عبد الرازق ليستدعى له سيارة . . وانتظر وهو يروح ويغدو فى عصبية إلى أن جاءت السيارة وركبها إلى مقر شركة بهنس ودخل إلى الدكتور سعيد وقال وهو يحاول أن يخمد أنفاسه اللاهثة :

— لقد قررت أن أبدأ بفتح حساب فى بنك الرخاء الوطنى . . ولكن الساعة الآن الواحدة وأعتقد أن البنك قد أغلق أبوابه فكيف أستطيع أن أصل إليه . . لقد كنت مشغولا طوال الصباح . .

وقال الدكتور سعيد وهو يحملق من خلف نظارته السميكة :

— البنك أغلق أبوابه ولكنه لم يغلق مكاتبه بعد . .

ورفع سماعة التليفون ، وقال مرتضى متعجلا :

— إنه مبلغ صغير أردت أن أبدأ به حتى لا أثير الشبهات حولى . . عشرون ألفا فقط . .

وقال الدكتور سعيد فى صوت حازم :

— المهم أن تبدأ . .

ثم قال الدكتور سعيد فى سماعة التليفون كأنه يحادث شبحا مجهولا :

— افتح حسابا جديدا باسم الأستاذ مرتضى السلامونى . . عشرين ألفا . . وأرسل لى الأوراق هنا . .

وأعاد سعيد سماعة التليفون دون تفاصيل أخرى ، ثم أخذ يحادث مرتضى فى مختلف المواضيع إلى أن دخل أحد الموظفين يحمل أوراقا ودفترا للشيكات . . وقال الدكتور سعيد دون أن يبتسم :

— فتح الحساب . . هل تحمل المبلغ . .

وقال مرتضى وهو يبتسم ابتسامة حائرة :

— طبعا . .

ومد يده بالحقيبة الأنيقة وهو يحاول أن يبدو كأنه من رجال الأعمال ، وأخرج العشرين ألفا ، تسلمها الموظف وعدها بأصابعه فى سرعة عجيبة كأن أصابعه آلة كمبيوتر . . ثم سلم الدكتور سعيد الأوراق لمرتضى الذى قلبها أمام عينيه بسرعة ثم وضعها فى جيبه ،

وقام منصرفا والدكتور سعيد يقول بلا ابتسام :

— مادمت قد بدأت فستتم ما بدأته . . مبروك . . ومع السلامة . .

وخرج مرتضى وهو يحس بقلق . . والقلق يلوى أعصابه حتى أحس بأنه فى حاجة إلى لقاء أمه . . يحس كأنه لا يزال الطفل الصغير الذى يجرى إلى أمه كلما هم بالبكاء . . إنه يحس بالشك فى كل ما فعله . . هل هو عاقل أم مجنون . . هل هو عاقل وهو يجازف بالاعتماد على عبد الله بهنس إلى حد أن يسلمه كل هذا المبلغ . . أم هو مجنون . . ويقنع نفسه بأنه عاقل . . عبقرى . . جبار . . ثم يعود ويخاف أن يكون مجنونا . . عبيطا . . يجرى وراء أوهام . . يجرى وراء رجل يستطيع أن يبتلعه .

وفوجىء بأمه تقابله فى تجهم وعيناها يملؤهما السخط وشفتاها مقلوبتان فى قرف حتى أنها شدت يدها من يده قبل أن تصل إليها ليقبلها كما هى عادته . . وأخته كوثر تستقبله وبين شفتيها ابتسامة ساخرة ثم تدير له ظهرها دون أن تقول كلمة . .

وقال مرتضى فى دهشة :

— ماذا جرى يا جماعة ؟ . لماذا أنتم هكذا ؟

والتفتت إليه كوثر وهى تكاد تبصق كلماتها :

— أظنك جئت لتبلغنا الخبر السعيد ونبارك لك . .

وقال مرتضى مبتسما :

— تقصدين خبر زواجى .

وصاحت كوثر :

— زواج الفلاحة بنت الفلاح . . ابنة الخولى . . إننى لم أعد أرى وجهى للناس منذ أن ذاع الخبر . .

وقال مرتضى فى دهشة :

ـ كيف ذاع . . إنى حريص على أن يبقى الخبر بعيدا عن كل من نعرفهم . .

وقالت كوثر فى سخط :

ـ كل الأخبار تعرف وتذاع مهما حاولت أن تحتفظ بها سرا . .

وقالت الأم كأنها لم تعد تطيق الصمت :

ـ اسمع يا مرتضى . أنت منذ الآن لا أنت ابنى ولا أعرفك . . إن ابنى هو ابن عبد السلام السلامونى . . وابن السلامونى لا يتزوج ابنة الخولى . .

وقال مرتضى وهو يتعمد الاحتفاظ بابتسامته :

ـ قدرى يا أمى ما كنت فيه . . لقد عشت سنوات على الأرض التى لم نعد نملكها . . وكنت لا أملك ولا مليما . . حتى أختى كوثر وزوجها بليغ زهقا منى ورفضا مساعدتى . . لم يتحملنى سوى عبد الرازق الخولى . . عشت بجانبه سنوات وهو لا ينسى الوفاء لأبى بمساعدة ابنه . . واذا كنت قد أردت وأنا فى هذه الحالة أن أتزوج حتى أستكمل حياتى فكان لا يمكن أن أتقدم لبنت من بنات العائلات التى نعرفها . . من ترضى أن تتزوج إنسانا مفلسا عاطلا . . ولكن عبد الرازق رضى أن يزوجنى ابنته . . وأنا نفسى أصبحت فلاحا يعيش حياة الفلاحين التى أصبحت زوجتى فهيمة تشاركنى فيها . .

وصرخت الأم :

ـ كان يجب ألا تنسى أنك ابن السلامونى . . وأن تحتفظ لأبيك بسمعته وقيمته . . إن كل الناس حتى اليوم لا ينسون عظمة السلامونى . .

وأعقبتها ابنتها كوثر صارخة :

ـ لو كنت قد قلت لى أنك تريد الزواج لزوجتك بنتا من عائلة ، ولها قيمة تليق بقيمة عائلتنا . . لقد رفعت عنا الحراسة ولم يعد هناك ما يعيبنا إلا خيبتك . .

وقال مرتضى ضاحكا كأن كل هذا الكلام لا يمسه :

ـ ستتأكدون قريبا أنى لست خائبا . . ولو أنى أعرف عقليتكم المتجمدة لدعوتكم إلى الفرح ولقدمت لكم عروستى فهيمة . . وسأقدمها لكم قريبا بعد أن أثبت لكم أنى لست خائبا . .

وصرخت الأم :

ـ لا أريد أن أراها أبدا . . لا أريد أن أكون حماة بنت الخولى ، ولا أريد أن يكون أولادها أولاد ابنى . .

وقال مرتضى وهو يقترب من أمه :

ـ حرام عليكى يا ماما . . أنا ابنك . . تحملينى . . لقد جئت اليوم لأنك أوحشتنى . . لا أستطيع أن أتحمل وحشتك . .

وقالت الأم فى حدة وهى تبتعد عنه :

ـ تعال بعد أن تصبح نظيفا . . إنى لا أتحمل ابنى إلا وهو نظيف . .

وفتح الباب ودخل بليغ ندا زوج كوثر وصاح فى مرح بمجرد أن رآه :

ـ أهلا يا مرتضى . . أين أنت يا رجل . . لقد أصبحت حديث الناس . .

وصافحه مرتضى فى برود وهو ينظر إليه فى شك . . إن بليغ لا يزال رجل مخابرات . . مخابرات خاصة . . ماذا يقصد بأنه حديث الناس . . وقال :

ـ تقصد أنهم يتحدثون عن زواجى . . هل أنت أيضا لا تقبل هذا الزواج . .

وقال بليغ ضاحكا :

ــ لا ، إن زواجك مجرد شقاوة .. وقد قلنا عنك أنه رجل لا يقبل امرأة إلا فى الحلال .. لذلك تزوجت بنت الخولى .. ولكن الناس تتحدث عن أنك أصبحت من رجال بهنس ..

وصاح مرتضى وهو يكاد يرتعش كأنه يقدم تقريرا لرجل المخابرات :

ــ أنا لست من رجاله .. ولكنى أحاول أن أستشيره فى عملية .. إنه جارنا فى كفر الجبل ، وقد التقيت به صدفة ثم ترددت عليه فى الشركة مرتين أو ثلاثا ..

وقاطعته الأم قائلة :

ــ وهل قال لك بهنس أنه كان خادما لأبيك ..

وقال مرتضى وهو يحاول أن يهرب من الحديث عن بهنس :

ــ أعرف أنه كان صديقاً لأبى .

وصاحت الأم :

ــ لم يكن صديقاً .. كان خادماً .. وكل ما وصل إليه بهنس هو من أفضال أبيك عليه .. إن البيت الذى تقيم فيه على أرض العزبة بناه بهنس .. وقد بناه كهدية .. مجاناً .. عرفاناً لأفضال أبيك ..

وقال مرتضى ساهماً :

ــ لم أكن أعرف .

وعاد بليغ يسأل :

ــ ماذا يقول بهنس عن المرحوم ؟

وقال مرتضى وقد بدأ يضيق بهذا التحقيق :

ــ لم يقل شيئاً .. لم تأت سيرة أبى فى أى كلام بيننا

وقال بليغ ساخراً :

ــ هذه هى طبيعة عبد الله بهنس .. إنه لا يذكر إلا من كان فى حاجة إليه .. وقد كان كما قالت أمك خادماً لأبيك .. لا يمر يوم إلا ويسأل عنه .. ولا مناسبة إلا ويرسل فيها المفروض .. أقصد الهدايا .. وبمجرد أن لحقت النكسة بأبيك اختفى بهنس من حياته .. لم يعد يسأل حتى عنه ولا عن صحته .

وصاح مرتضى :

ــ لماذا تحدثنى عن بهنس .. إن كل ما بينى وبينه مجرد مشروع لا يزال فكرة ..

وقال بليغ وهو ينظر إليه فى إشفاق :

ــ أريدك أن تحذر عبد الله بهنس .. إنه لا يعترف بأى صداقة أو حتى معرفة بينه وبين أحد ، إن كل علاقاته بالخدمات .. الناس هم خدمات خذ وهات ، إنه يعرف أصحاب المراكز وبمجرد أن ينهار أحدهم عن مركزه لا يعرفه ولا حتى يقرئه السلام .. لأن المركز هو الذى يعطى ويأخذ وليس الشخص .. وعلى قدر ما أخذ وأعطى راح الكثيرون ضحية له .. إنه عبقرى .. يترك الناس تسرق له وتزيف له وترتكب له أبشع الجرائم ثم يترك كلا منهم يتحمل المصيبة وحده .. ويطرد أو يدخل السجن أو يعدم وحده .. وهو دائماً فى أمان ..

وقال مرتضى وهو يزفر أنفاسه فى ضيق :

ــ ولماذا تقول لى هذا الكلام ؟

وقال بليغ وهو ينظر إليه كأنه يرثى لحاله :

— لأنى أريدك أن تحذر منه .. يجب أن تسأل نفسك وأنت تتعامل معه .. ماذا يأخذ منك وماذا يعطيك .. إن الحياة عنده تقوم على مجرد الخـدمات .. خذ وهات .. لا شيء فى الحياة يسمى الصداقة أو الوفاء أو الانسانية .. لا شيء سوى الخدمات .. ومنذ سمعت أنك تتردد عليه وأنا أسأل نفسى ماذا يريد منك وماذا سيعطيك ..

وقال مرتضى وهو ينتفض خارجاً :

— ستعرف .. سلام عليكم .. أشوفك بخير يا ماما ..

وخرج دون أن يصافحهم ودون أن يحاول تقبيل أمه .. خرج كأنه يجرى هارباً .

★★★

لقد كان يتمنى أن يتناول الغداء بجانب أمه حتى تريحه بحبها وحنوها من قلقه .. ولكنهم ألقوا النار على القلق فازداد نهشاً فيه .. لا يهم رفضهم لزواجه من فهيمـة .. إنه هو نفسه لا تهمه فهيمة كمستقبل يعيش فيه ، وقد يرى يوماً أن يبعدها عنه إذا اضطر .. بل إنه أيضا لا يهمه أهله حتى مع حبه لأمه .. وهو يتحمل ببساطة أن يعيش بعيداً عنهم مكتفيا بفهيمة .. ولكن ما يشغل باله هو ما سمعه عن عبد الله بهنس .. فعلا .. ماذا يريد منه بهنس .. لماذا يتبرع بمعاونته واستشاراته حتى أنه يضع أكبر خبرائه الدكتور سعيد زهدى فى خدمته .. ولكن .. لماذا يسيء الظن بعبد الله بهنس بتحريض زوج أختـه بليغ .. حتى أنه لو لم يكن عبد الله يؤمن بالصداقة أو بالانسانية فهو على الأقل اكتسب به زبونا .. وقد وضع فعلا فى البنك الذى يملكه عشرين ألفاً .. كل البنوك تتمنى أن يضع فيها أمواله ..

ولكن القلق والحيرة لا يفارقانه ..

إلى أن وصل إلى العزبة فى كفر الجبل .. إنه بمجرد أن يخطو خطوة واحدة على الأرض يحس بأنه السيد .. وفهيمة تزيد فيه هذا الاحساس ..

وقدمت له فهيمة طعام الغداء وهى واقفة قبالته كأنها تبارك كل لقمـة يمـد يده إليهـا .. ونظر إليها بعد أن شبع وقال وبين شفتيه ابتسامة السيد :

— تعال يابت معايا كبسينى .. عظامى تكسرت من المشوار ..

ونظرت إليه فهيمة بعينيها اللتين تسألانه .. ماذا تريد منى .. ثم كأنها فهمت ماذا يريد وقالت وهى ترفع صينية الطعام :

— حاضر .. ادخل وسألحق بك ..

ودخل إلى حجرته ..

وانتظرها برهة ليأخذها تحت أحضانه ويفرض عليها إرادة السيد ..

واستراح من قلقه ..

ولكن مالبث أن عاد إليه ..

★★★

(١١)

وقضى مرتضى أسبوعاً وهو يجلس كل صباح على شاطىء الترعة ليمر به برهومة . . إنه الأسبوع الثالث . . لا يمكن أن يكون محروس يقضي كل هذه الأيام وهو يفكر ويعد للعملية . . ربما عدل عنها نهائياً . . إذا كان محروس قد عدل عن العملية فهو لن يستطيع أن يستمر فى مشروع بهنس . . مشروع استيراد آلات الحفر . . وإذا كان لا يستطيع فما مصير العشرين ألفا التى وضعها فى بنك بهنس . . هل يتركها له مكتفياً بالفوائد التى تقررها البنوك ؟ أم يخاف عليها ويسحبها ليستغلها فى مشروع آخر بعيداً عن عبد الله بهنس . .

ودفعته الحيرة إلى أن يذهب لزيارة الدكتور سعيد . . إن عبد الله يعتذر دائماً عن عدم مقابلته ، ولكن الدكتور سعيد لا يعتذر بدأ . . ربما كانت العملية تفرض عليه أن يلقاه كلما طلب لقاءه . .

واستقبله الدكتور سعيد قائلا فى صوت خافت كأنه يكتم صيحة :

ــ أين أنت يا رجل . . إن عبد الله بيه سأل عنك أكثر من مرة . .

وقال مرتضى فى دهشة :

ــ لماذا ؟

وقال الدكتور سعيد وهو يقوم من خلف مكتبه :

— لا أدرى . . تعال . .

وشده الدكتور سعيد من ذراعه وذهب به إلى مكتب عبد الله بهنس . . ودون أن يستأذن السكرتير فتح باب المكتب ودخل به . . وما كاد عبد الله يراه حتى قام صائحاً من خلال ابتسامته الواسعة قائلا :

— أهلا مرتضى . . أين أنت يا رجل . . كنت أسأل عنك . .

وقال مرتضى وقد وجد نفسه ينطلق فى ابتسامة سعيدة كأن ابتسامة عبد الله قد جذبت ابتسامته :

— تحت أمرك . . خيراً . .

وقال عبد الله وهو يشده إلى مقعد بينما خرج الدكتور سعيد من الغرفة :

— لقد أخبرونى أنك فتحت حساباً فى البنك . . فأردت أن أهنئك . .

وقال مرتضى متواضعاً :

— إنه مبلغ تافه أردت أن أبدأ به حتى لا أثير الشبهات . .

وقال عبد الله بسرعة :

— عين العقل . . إننى معجب بحرصك . . وقد ناقشت الدكتور عبد الله فى تفاصيل المشروع الذى سيعرضه عليك . .

وأخذ عبد الله يتكلم كلاماً عاماً عن المشروع . . وعن مشاريع أخرى كثيرة . . إلى أن قال له بعد فترة :

— اسمع يا مرتضى . . إننا الآن أصدقاء وأسمح لنفسى أن أسألك . . هل رأيت الجماعة ؟

وقال مرتضى فى دهشة :

— أى جماعة ؟ !

وقال عبد الله من خلال ابتسامته كأنه يتكلم فى موضوع لا يهمه :

— الجماعة إياهم الذين قاموا بعملية السطو على بيتى . .

وارتعشت رموش مرتضى وقال وهو يعتدل فى جلسته :

— أبداً . . منذ أن استرددت منهم أوراقك ودفعت لهم ماطلبوه لم أر أحداً منهم أبداً . . وقد اشترطت عليهم أن يبعدوا عنك . . لماذا تسأل ؟ هل حدث منهم شىء ؟

وقال عبد الله متنهداً فى أسى :

— لقد سطوا على بيت آخر . .

وقال مرتضى فى دهشة فزعة :

— أى بيت ؟

وقال عبد الله مبتسما فى رثاء :

— بيت صديقنا راجى أحمد معتز . .

وقال مرتضى من خلال دهشته :

— متى ؟

وقال عبد الله :

— منذ أيام . . منذ أكثر من أسبوع . .

وقال مرتضى متعجباً :

— ولكنى لم أقرأ شيئاً فى الصحف . .

وضحك عبد الله قائلا :

— ليس فى صالح صديقنا راجى أن يذاع الخبر وينشر فى

الصحف . . إن هذه السرقات تمس سمعة رجال الأعمال . . ولعلك تذكر أنى أيضاً طلبت من الصحف عدم نشر الخبر . .

وقال مرتضى وهو يحس كأن ما فى داخله ينتفض :

ــ ولكن ما الذى جعلك تتصور أن الجماعة الذين سرقوا بيتك هم الذين سرقوا بيت راجى . .

وقال عبد الله وفى ابتسامته حسرة :

ــ لقد عرفت التفاصيل . . إنها نفس التفاصيل التى تمت بها سرقة بيتى . . وقلت لنفسى إنهم ربما اتصلوا بك لتكون الواسطة بينهم وبين راجى كما كنت الواسطة بينى وبينهم . .

وقال مرتضى فى حدة :

ــ لقد وسطونى إليك لأنهم اعتقدوا أننا جيران وأننا على تعارف . . أما فى عملية راجى فلا يمكن أن يلجأوا إلى . . إنهم لاشك يعرفون أنه زوج مطلقتى ولا يمكن أن يكون بينى وبينه عمار حتى أسعى لمصلحته كما سعيت لمصلحتك . . إنهم أذكياء يدققون فى كل ما يفعلونه .

وقال عبد الله وهو يلوى شفتيه يأساً :

ــ إنى فقط أردت أن أسالك بحكم صداقتنا . . هل تعرفهم إذا رأيتهم .

وقال مرتضى وهو يبتلع ريقه :

ــ طبعاً . . ولكنى لا أعرف لهم مكاناً . .

وقال عبد الله ساخراً :

ــ إني معجب بهم وأتمنى أن أراهم لأهنئهم . . إنهم فعلا أذكياء . . اسف إذا كنت قد أزعجتك بسؤالى . .

وقام مرتضى يصافحه وهو ساهم . . وخرج وهو يسير فى خطوات

مرتبكة ويحتار كيف يبدو أمام الموظفين . . هل يضع يديه فى جيوبه أم يتركها حرة . . هل يفرد صدره أم يسير طبيعياً . . والسؤال الضخم يرن فى رأسه حتى يكاد يهده . . هل اختار محروس أن يقوم بالعملية وحده ولحسابه الخاص . . هل خانه محروس . . تخلى عنه حتى ينفرد بكل ما وصل إليه . .

كيف يجد محروس ؟؟

كيف يجده ؟؟

★★★

[illegible]

هم الذين سرقوا بيت راجي ..

وقال عبد الله وفي ابتسامته حسرة :

— لقد عرفت التفاصيل .. إنها نفس التفاصيل التي حدثت في سرقة بيتي .. وقلت لنفسي [illegible] لتكون الواسطة بينهم وبين راجي كما كنت الواسطة بيني وبينهم ..

وقال مرتضى في حدة :

— لقد وصلوا إليك لأنهم اعتقدوا أننا جيران وأننا على تعارف .. أما في عملية راجي فلا يمكن أن يلجأوا إلى .. إنهم لاشك يعرفون أنه زوج مطلقتي ولا يمكن أن يكون بيني وبينه خير حتى أسعى لمصلحته كما سعيت لمصلحتك .. إنهم الأذكياء يخططون في كل ما يفعلونه ..

وقال عبد الله وهو يلوي شفتيه يأساً :

— إني فقط أردت أن أسألك بحكم صداقتنا .. هل تعرفهم إذا رأيتهم ..

وقال مرتضى وهو يبتلع ريقه :

— طبعاً .. ولكني لا أعرف لهم مكاناً ..

وقال عبد الله ساخراً :

— إني معجب بهم والحق أن أراهم لأهنئهم .. إنهم فعلاً أذكياء .. آسف إذا كنت قد أزعجتك بسؤالي ..

وقام مرتضى يصافحه وهو ساهم .. وخرج وهو يسير بخطوات

(١٢)

واعترف مرتضى لنفسه بعد أن هدأ قليلا بأنه لن يستطيع أن يجد محروس ، بل لن يستطيع مجرد البحث عنه .. لقد خطر له أن يذهب إلى الشرابية حيث قال له أنه يقيم منذ انتقل إلى القاهرة ، وخطر له أن يذهب إلى برقاش بلدة محروس .. ولكن كيف يجده في الشرابية أو في برقاش .. هل يذهب ويجلس على أحد المقاهي هناك حتى يمر به محروس .. ولكن .. إن مجرد ظهوره في هذه المناطق يثير حوله الشبهات .. وإذا سأل عنه فبأي صفة يسأل .. إنه ليس له أي صفة تربطه بمحروس إلا التي أطلقها على نفسه وهو أنه زعيم العصابة .. هل يترك الناس تكتشف أنه زعيم العصابة ويرمى في مصيبة .. لا .. لايمكن .. ثم إنه منذ عرف محروس وهو لا يستطيع أن يجده إلا بأن يجلس في انتظاره .. ومحروس حر في أن يأتي إليه في موعده أو لا يأتي .. وإذا كان قد قام بالسطو على بيت راجي معتز فقد اشترط عليه ألا يمر عليه إلا بعد شهر كامل من إتمام العملية .. وقد بقيت أيام على مرور الشهر كما قدر بعد أن سمع كلام عبد الله بهنس .. إذن فكل ما يستطيعه هو أن يبقى مجمداً في بيته إلى أن يأتي إليه محروس .. ولكن .. لماذا لم يرسل إليه برهومة ليمر من أمامه على شاطىء الترعة يوم تنفيذ العملية .. ربما لم يتمكن .. ربما برهومه قد

شغل يومها .. إن هذا يطمئنه أكثر إلى أن محروس لم يتعمد الفرار منه بعد أن جن بما وجده فى بيت راجى وأراد الانفراد به .. فإن برهومة كان المفروض أن يمر أمامه قبل العملية لا بعدها ..

وجمد مرتضى نفسه داخل بيته فى انتظار محروس .. والخواطر تطحن فيه .. إن خياله يمتلىء حيناً بصورة المشبك الماس الذى يعتمد عليه فى بناء مستقبله .. ويتصور حيناً أشياء أخرى قد وجدها محروس فى بيت راجى .. ثم يتصور أنه وجد أوراقاً سرية كالأوراق التى وجدها عند بهنس .. ولكنه لن يستطيع أن يعود ويبتز من راجى ثمن هذه الأوراق كما فعل مع بهنس .. إنه بهذا سيثبت على نفسه التهمة ، وراجى ليس فى خبث وجبروت بهنس حتى يسكت كما سكت .. وأحياناً أخرى يعود ويتصور أن محروس قد استولى على كل شىء واحتفظ به لنفسه .. وهو طوال الوقت فى حالة معاناة قاسية يصرخ فى كل كلمة يقولها .. وتكاد الدموع تطفر من عينيه وهو يتخيل المجهول .. وفهيمة أمامه لا تستطيع أن تخفف عنه كما تعود كلما كانت أمامه .. لا تستطيع أن تثير فيه إحساسه بأنه السيد .. بأنه المالك .. إنه يحس بأنه غلبان .. ضائع .. مسكين .. حتى أن ضعفه أثاره على فهيمة وطردها من أمامه صارخاً :

— غورى يابت عن وجهى .. اذهبى إلى دار أبيك وأقيمى هناك إلى أن أرسل إليك .

ونظرت إليه فهيمة نظرتها الصامتة وعلى شفتيها بصقة تستهين بها منه .. ثم جمعت بعض ثيابها وذهبت إلى بيت أبيها صامتة بلا كلمة :

ربما كان هذا ما تعمده .. أن يبعد فهيمة عن البيت حتى يخلو لاستقبال محروس .. وهو يقضى كل ليلة جالساً على الأريكة فى الصالة الخارجية دون أن يدخل حجرة النوم ودون أن يخطر النوم على عينيه فى انتظار محروس ..

وفى ليلة سمع وقع أقدام تتسلل إلى البيت ..

إنه محروس .. حاملا بندقيته وفى يده لفافة كبيرة ..

وانطلق مرتضى بصوت مرتعش بمجرد أن رآه ..

— أين أنت يا رجل ..

وأجاب محروس مبتسما وهو يمد يده من خلال حزام البندقية مصافحاً :

— مساء الخير ياسى مرتضى .. كل شىء تمام ..

وقام مرتضى وصوته لا يزال مرتعشاً :

— لماذا لم ترسل برهومة ليمر من أمامى كما اتفقنا .. لقد سمعت بالحكاية صدفة وكأنى غريب ..

وقال محروس وهو يتلفت كأنه يذكر مرتضى بأنه يجب أن يدعوه للجلوس :

— برهومة مر على الترعة مرتين ولم يرك .. لم تكن جالساً على شاطىء للترعة ..

وقال مرتضى بسرعة :

— متى كان ذلك ؟

وقال محروس وهو ينظر إليه فى لوم لعدم دعوته للجلوس :

— كان صباح يوم الخميس .. يوم أن اتكلنا على الله ..

وسرح مرتضى بخياله .. لعله كان اليوم الذى ترك فيه شاطىء الترعة وذهب إلى شركة بهنس ليضع العشرين ألفا فى البنك .. وأحس براحة عندما تذكر .. وهدأت أعصابه وابتسم لمحروس قائلا :

— اتفضل يا محروس .. اجلس ..

وعندما هم محروس أن يجلس على الأرض عاجله مرتضى قائلا :

ـ يا رجل اجلس على هذا المقعد . . وأحك لى . . كيف تم كل شىء . .

لقد كان يريد أن يطمئن أولا على أنه جاء يحمل إليه المشبك لكنه فضل أن يبدو كأن الأهم عنده أن يطمئن على محروس . .

وقال محروس متنهداً وهو يجلس على المقعد سعيداً بالمركز الجديد الذى ناله :

ـ والله كان كل شىء صعباً يا سعادة البيه . . لقد ظل الواد برهومة وراء الخفير رمضان أسبوعاً وأكثر حتى كسبه . .

وقال مرتضى متعجباً :

ـ كسبه كيف ؟

وقال محروس ضاحكاً :

ـ دخل عليه أول مرة يسأله عن قليل من الفحم . . لزوم الحشيش طبعاً ، فقد قلت لنا أن رمضان غاوى حشيش . . وبدأت جلسات الحشيش بين برهومة ورمضان إلى أن استطاع ليلة الزفة أى ليلة العملية أن يأخذه معه بعيداً عن البيت بحجة الحصول على قرشين هندى . . ودخلت أنا ومرجوشى وحدنا . . وكنا نعلم أن الست الكبيرة نائمة فى غرفتها ومعها خادمة . . كما كنا نعلم أن ثلاثة من الخدم ينامون فى البدروم ولكن ربنا سترها وخرجنا بالكثير . .

وقال مرتضى فى لهفة :

ـ هل وجدت المشبك الذى حدثتك عنه . .

وقال محروس مبتسما وهو يمد يده فى جيبه :

ـ وجدناه يا بيه . . ولا أعرف ماذا يهمك فيه . .

وقال مرتضى وهو يمد يداً نهمة ويلتقط المشبك وعيناه تبرقان مع بريق الماس :

ـ لقد كان ملكى يا محروس . . إنك لم تسرقه . . لقد أعدته لى . . حكاية طويلة يا محروس . .

وقال محروس وكأنه لا يفهم :

ـ فى اعتبارى أنه ليس أغلى ما وجدناه . .

وقال مرتضى فى لهفة :

ـ ماذا وجدتم ؟ !

وقال محروس كأنه يتباهى :

ـ وجدنا جنيهات ذهبية . . مائتين وخمسين جنيهاً ذهبياً . .

وقال مرتضى فى لهفة :

ـ وماذا فعلتم بها ؟ !

وقال محروس معتزاً بنفسه :

ـ بعناها فى أسيوط . . الجنيه بثلاثة . .

وصرخ مرتضى :

ـ ثلاثة يا محروس . . ضحكوا عليك يا محروس . . هل تعرف كم يساوى الجنيه الذهب هذه الأيام . . الجنيه الواحد يساوى مائة جنيه وأكثر . .

وقال محروس دون أن يتأثر :

ـ إننا نبيع بأسعارنا يا بيه . . أسعار الغلابه . . والله عوضنا بالفارق . . لقد وجدنا بجانب العلبة الحديد عشرة آلاف جنيه ورقا . . ووجدنا داخل العلبة عقداً من اللؤلؤ وخمسة خواتم وساعة كلها فصوص بجانب المشبك الذى من نصيب سيادتك . .

وقال مرتضى وهو مبهور :

— وكيف فتحتم العلبة الحديد . . إنها بأرقام سرية . .

وقال محروس وهو يتنحنح فى اعتزاز :

— حملناها معنا . . وكل شىء ممكن يا بيه . . وقد أفاض الله علينا من خيره . . من كان يصدق أن يكون كل هذا من نصيبنا . . والفضل لك . . الخير خيرك يا سعادة البيه . . وقد حملت لك هذا . . ولو أن حقك لا يعوض وأنت أحق بكل ما خرجنا به . .

ومد محروس يده باللفافة التى يحملها والتقطها مرتضى قائلا :

— ما هذا ؟

وقال محروس مبتسما فى سخاء :

— عشرة آلاف . . أكثر من ربع ما خرجنا به . .

وقال مرتضى وهو يمد يده باللفافة كأنه يعيدها ولا يستطيع أن يخفى الانبهار من عينيه :

— أنا لم أكن أريد إلا المشبك . .

وقال محروس وكأنه يفهمه :

— غير معقول يا بيه . . الفضل كله لك . . ولا يمكن أن ننسى حقك وكأننا نسرق سيدنا . . لا يا بيه . . هذا أقل من حقك . وعملية أخرى تدلنا عليها ونصبح أسياد الناس . .

وقال مرتضى مبتسما وهو يبعد اللفافة إلى جانبه :

— كفاك يا محروس . .

وقال محروس ضاحكاً :

— أبداً يا بيه . . الناس كلها تعيش بما يقسمه الله . . والكفاية هو سبحانه الذى يحددها . . وعلى المرء أن يسعى وعلى الله تحقيق المساعى . .

واستمر الحديث بينهما هادئاً حلواً كأن كلا منهما يهنىء الآخر إلى أن قام محروس يستأذن قائلا :

— متى أتشرف برؤية سيادتك . .

وقال مرتضى كأنه يراجع الخطة :

— ليس قبل أسبوعين . . ولكن تعال فى الصباح . . بالبنطلون . . حتى نحقق ما يضمن لنا الأمان .

وقال محروس وهو يعلق البندقية على كتفه منصرفاً :

— أمرك يابيه ، ولو أنى لا أطمئن إلى عينى عبد الرازاق . . والاتكال على الله وعليك . .

وعند الفجر خرج محروس دون أن يتحرك مرتضى من جلسته محتفظاً بمكانته كزعيم . . ثم التقط المشبك وأخذ يحلق فيه وعيناه تهللان من الفرحة . . إنه تحفة تساوى الآن أكثر من نصف مليون جنيه . . إنه سيبيعه ، ولكى يبيعه وهو فى مأمن يجب أن يسافر به إلى الخارج ، سيسافر . . ومد يده وفتح اللفافة التى تركها له محروس . . وأخذ يعد الأوراق . . عشرة آلاف جنيه . . سيضعها فى بنك الرخاء الوطنى فوق العشرين حتى يعرف عبد الله بهنس أنه يملك وأنه يستطيع أن يغطى بأمواله كل العملية .

وقام وهو يكاد يرقص فى مشيته فرحاً ، وفتح الدولاب وأخفى فيه ما حمله إليه محروس . ثم وجد نفسه يسير راقصاً إلى دار عبد الرازق الخولى وصاح به بمجرد أن رآه وهو يستقبل الفجر .

— صباح الخير يا حماى . . فين فهيمة . .

وقال عبد الرازق وليس فى كلماته فرحة :

— صباح الخير ياسى مرتضى . . يمكن فهيمة عند الفرن . .

وقال مرتضى ضاحكاً :

— ابعثها لزوجها . . لم أعد أستطيع النوم بعيداً عن زوجتى ، والله يا عبد الرازق بنتك نعمة وخير على .

وعـاد مرتضى إلى البيت إلى أن جاءت فهيمـة . . لم تكن قد اهتمت بتجميل نفسها وهى عائدة إلى زوجها . . عادت بعبلها من أمـام الفـرن . . ووقفت أمـامه تنظر إليه بعينيها اللتين تحتفظان لها بشخصيتهـا . . شخصية الفـلاحـة التى لاتستسلم للضيم ، وقال مرتضى وفى عينيه بريق السيد الذى يملك :

— هل أغضبتك . .

وقالت فهيمة كأنها لاتبالى :

— ماذا يغضبنى ؟

وقال مرتضى وهو يقترب منها :

— لقد تركتك فى دار أبيك أياماً . .

وقالت وهى تهز كتفيها بلا مبالاة :

— هذا ما كنت تريده ياسى مرتضى . .

وقال وهو يشدها وراءه إلى الغرفة :

— والآن أريدك كلك . .

وهى وراءه رافعة الرأس كأنها تخطو إلى الفرن لتؤدى أعمالها . .

★★★

وترك مرتضى يومين يمران بعد زيارة محروس له . . إنه ينتظر دائماً ما يمكن أن يحدث بعد لقائه بمحروس . . قد يضبط وينفضح أمره معه . . ولكن . . الحمد لله . . دائماً الدنيا بخير . . ودائماً فى أمان وسلام . . وقام وارتدى بذلته وحمل حقيبة الأوراق الأنيقة بعد أن جمع

فيها عشرة آلاف جنيه . . ثم مد يده إلى المشبك الماس . . هل يحمله معه فى جيبه . . ولكنه لن يبيعه فى مصر . . فلماذا لا يتركه مكانه . . ولعله من شدة فرحته بهذا المشبك لم يطق أن يتركه بعيداً عنه فحمله فى جيب سترته الداخلى ثم أغلق الدولاب بالمفتاح وخرج ينادى على عبـد الـرازق ومـد يده فى جيبـه وأخـرج له مائتى جنيه وأعطاها له وعبد الرازق يقول فى دهشة :

— ما هذا كله ياسى مرتضى ؟

وقال مرتضى كأنه يزهو بنفسه :

— إنـه من الحساب يا عبـد الرازق . . ربنا فاتحها علينا . . والدور القادم أكثر وأكثر . .

وجـرى عبـد الـرازق ليستـدعى له سيارة أجـرة والفرحة تغمر وجهه . . وسار مرتضى وهو يهز الحقيبة الأنيقة فى يده كأنه يتعاظم بنفسه . . وركب السيارة وهو ساهم فى سعادة إلى أن وصل إلى شركة بهنس ودخل مباشرة إلى مكتب الدكتور سعيد الذى استقبله بنفس التحية الجامدة التى يستقبله بها كل مرة . . وقال مرتضى :

— رأيت أن أضـع مبلغـاً آخر فى الحسـاب . . حتى تتعجل العملية . . وقد فضلت أن أمر بك قبل أن أمر على البنك . . الواقع أننى لا أعرف أحداً من موظفى البنك . . لا كبيراً ولا صغيراً .

ورفع الدكتور سعيد سماعة التليفون وهو يقول لمرتضى بلا اهتمام :

— كم المبلغ ؟

وقال مرتضى وكأنه يتباهى :

— عشرة آلاف . .

ولوى سعيد شفتيه كأنه قدر أنه مبلغ تافه وقال فى سماعة التليفون بلهجة سريعة :

ـ عشرة آلاف فى حساب الأستاذ مرتضى السلامونى وأرسل من يأخذ المبلغ ويحمل ورقة الحساب .

ثم التفت الدكتور سعيد إلى مرتضى بعد أن وضع سماعة التليفون قائلا له :

ـ بإذن الله نجمع المبلغ حتى ننتهى من العملية . .

وقال مرتضى وهو يضغط بكفه على جيبه الداخلى الذى يحمل فيه المشبك :

ـ قريباً بإذن الله ، ولكن على الأقل يجب أن نبدأ الاتصالات بالشركة .

وقال الدكتور سعيد كأن كلماته معلقة فى زمبلك تسجيل :

ـ نحن على اتصال بالشركة دائما . . والمشروع جاهز وتستطيع أن تطلع عليه كاملا . . لم يبق إلا فتح الاعتماد فى البنك . .

وقال مرتضى وهو يحاول أن يحتفظ بلهجة رجال الأعمال :

ـ أفضل أن أزور الشركة أولا لأتعرف بالمسئولين فيها . . ولكن كيف . . إنى فى الواقع ليس عندى تجارب فى الاتصال بالشركات العالمية . .

ونظر إليه الدكتور سعيد من خلال نظارته السميكة كأنه يحاول أن يكتشف سره ثم قال :

ـ بسيطة . . إن مكتبنا فى فرانكفورت يستطيع أن يعد لك الزيارة ويكون فى استقبالك هناك . . متى تريد أن تسافر ؟

وقال مرتضى فى زهو :

ـ إنى سأسافر إلى جنيف خلال أسبوعين على الأكثر لأعمال خاصة ، ومن هناك أستطيع أن أمر على فرانكفورت لزيارة الشركة .

وقال الدكتور سعيد فى لهجته الآلية :

ـ اتصل بنا عندما تحدد الموعد .

وكان موظف البنك قد دخل ، وفتح مرتضى الحقيبة الأنيقة وأخرج منها العشرة آلاف وترك الموظف يعدها بأصابعه ثم أخذ منه الايصال الذى حمله معه وقام مزهوا . . سعيداً . . كما كان أيام زمان . . ابن ملك .

إنه سيذهب إلى جنيف أولا ليبيع المشبك ويقبض ثمنه . . نصف مليون . . لا . . من الأفضل التواضع ولنقل ربع مليون . . ولكنه قبل أن يسافر إلى جنيف سيتعمد إجراء اتصالات كثيرة بمكتب شركة عبد الله بهنس فى فرانكفورت حتى يغطى بهذه الاتصالات سر ذهابه إلى جنيف . . وهو طبعاً أصبح حرا فى السفر بعد أن رفعت عنه الحراسة ، ومنذ سنوات وكل الذين رفعت عنهم الحراسات يسافرون . . ثم إنه متعود على السفر ، لقد قضى شبابه وأيام مجد أبيه وهو ينط فى أوربا بين بلد وبلد ، وكأنه ينط بين أحياء القاهرة . . لا يهمه السفر . . ولكن . . كيف يبيع المشبك فى جنيف . . إن جنيف هى أكبر سوق للبيع . . بيع أى شىء . . ولكن كيف يبيع هذا المشبك . . ولكن لماذا يسأل نفسه . . فليجازف ويجرب وليحدث ما يحدث . .

وكان يتردد بين يوم وآخر على شركة عبد الله بهنس ويتكلم كثيراً حتى يشيع من حوله ما يؤكد أنه مسافر فى رحلة عمل . .

وكان قد حدد فعلا موعد سفره عندما جاء محروس قبلها بيومين . . جاءه فى الصباح وهو بالقميص والبنطلون . . وصحبه عبد الرازق حتى باب البيت وهو ينظر إليه فى شك ويخطو بجانبه فى سخط . . إنه مجرد إحساس يداهم عبد الرازق كلما رأى محروس ، فهو لا يعرفه ولكنه بمجرد أن تسقط عيناه عليه يخيل إليه أنه سبق له أن رآه ورفض أن يعرفه . . ونظر مرتضى إلى محروس فى دهشة وكأنه فوجىء به . . فعلا . . إنها مفاجأة . . فقد كان نسى موعده مع

محروس .. الواقع أنه فى الأيام الماضية كان قد نسى محروس كله .. لم يكن فى حاجة إلى ما يذكره به .. إنه فى هذه الأيام ليس فى حاجة إلى محروس .. إنه فى حاجة إلى أن يتفرغ كله للعملية التى ستحقق أمله فى أن يكون من كبار رجال الأعمال .. العملية التى تضمن له الملايين .. لا يعتقد أنه سيكون فى حاجة إلى محروس بعد أن يصبح من أصحاب الملايين .

ونسى مرتضى نفسه وقام واقفاً يصافح محروس بعد أن عوده على ألا يمد له يده إلا وهو جالس فى مكانه تأكيداً لشخصيته كزعيم .. وقال لعبد الرازق :

– قل لهم أن يعدوا القهوة بسرعة .

وابتعد عبد الرازق بعد أن أدار عينيه بين مرتضى ومحروس وكأنه ساخط على كل منهما وحائر بينهما ، وجلس مرتضى وهو يسأل محروس من خلال ابتسامة مفتعلة :

– ما أخبارك يا محروس ؟

وقال محروس من خلال ابتسامة واسعة :

– كله خير يا بيه .. العملية نايمة وكأنه لم يحدث شىء ..

وقال مرتضى فى حسم :

– خذ بالك يا محروس .. لا يمكن أن تنام مثل هذه العملية .. ما أدراك إلى أين وصل البوليس .

وقال محروس ساخراً :

– البوليس فى حالة صهينة .. هذا ما أعرفه .. البوليس يفرح بسرقة بيوت هؤلاء الناس الأغنياء ، وأحياناً يبارك هذه العمليات وقد يشترك فيها .. وياما سمعنا من حكايات ...

وقال مرتضى فى حدة :

– لا تقل هذا الكلام .. وكن عاقلا وخذ حذرك .

وقال محروس كأنه يطمئن مرتضى :

– المهم أنه لم يمسنى شىء من يومها .. ولا مجرد شبهة .. والفضل دائماً لك .. حتى أنى أطمع أن نقوم بعملية أخرى وأتوب بعدها إلى الله ..

وقال مرتضى مبتسما فى رجاء :

– كفاك وكفانى يا محروس .. وأنا شخصياً قررت التوبة ..

وسحب محروس ابتسامته وقال فى صوت غليظ :

– ماذا تعنى يا سعادة البيه ؟

وقال مرتضى وهو لاينظر إليه :

– إنى مسافر إلى الخارج بعد يومين ..

وقال محروس وهو ينظر إليه فى حدة :

– تستطيع أن تضع لنا عملية قبل السفر وننفذها وأنت مسافر وتعود وتجد الخير فى استقبالك .

وقال مرتضى وكأنه يدارى عنه وجهه :

– لقد كنت أدلك على بيوت أعرفها .. بيوت دخلتها .. وكان هذا يضمن نجاح الخطة ، وليس عندى بيوت أخرى أعرفها وتستحق أن ندخلها .

وعاد محروس يكرر :

– ماذا تعنى يا بيه ؟

وقال مرتضى وهو يواجهه بعينيه :

– أعنى أن يذهب كل منا إلى حال سبيله .. كل يعتمد على

نفسه وعلى الله .. يعنى خلاص لن نشترك فى عمل واحد ..

وقال محروس وهو يحلق فيه :

ــ ولكنى تعودت أن أعمل مع سيادتك .. وقد وفقنا الله .. فما السبب فى القطيعة ؟

وقال مرتضى فى لهجة كأنها رجاء :

ــ ليست قطيعة يا محروس .. سنبقى دائمًا معاً .. لا يمكن أن أتخلى عنك أو أتركك تتخلى عنى .. إن كلا منا يمسك بالآخر إلى الأبد .. كل ما هناك أنى قررت التوبة وأرجو أن تتوب معى .

وقال محروس بعنف :

ــ ليس هذا أوانها .. أوان التوبة .. وأنا لا أستطيع أن أبقى بلا عمل ، وتعودت أن أعتمد على سيادتك فى كل عمل .. دلنى على عملية واحدة قبل أن تسافر ولنر ما يكتبه الله لنا .

وقال مرتضى وكأنه ينهره :

ــ قلت لك أنه ليس عندى ما أدلك عليه ..

وقام محروس منطورا غاضبا صائحا :

ــ سلام عليكم يا بيه .. والله كانت أيام ...

وأمسك به مرتضى وشده من يده ليعيده إلى جلسته ، واستمر النقاش بينهما ومرتضى مصر على ألا يشترك مع محروس فى عملية أخرى .. إنه يحس بأنه يجب أن يبتعد عنه .. المستقبل الحالم لا يبيح له أن يكون على صلة بمحروس أو من هم من مستوى محروس .. حتى لو كان لصا .. فقد ارتفع إلى مستوى أعلى من اللصوص .. مستوى الكبراء والقادة ، وأصحاب الملايين .. وقام محروس يائسا وقال وهو يلوى شفتيه كأنه يسخر من مرتضى :

ــ لعلى لن أتشرف برؤيتك بعد اليوم ..

وقال محروس مبتسما :

ــ إنك تستطيع أن ترانى كلما أردت .. البيت بيتك .. وأنا واثق أنك ستحسب حساب كل شىء .. ولكن أنا لو فرض وأردت لقاءك فكيف ؟

وقال محروس من خلال ابتسامته الساخرة :

ــ لقد قدرنى الله ووجدت شقة فى ميدان الجيزة .. شقة منورة .. جمعت فيها العائلة ، يكفى أن تمر فى الصباح وسأراك وأنا جالس على مقهى الميدان .. وأنا أيضا مطمئن إلى أن سيادتك تحسب حساب كل شىء .

وابتعد محروس وقد أنسته المناقشة شرب فنجان القهوة .

وقام مرتضى إلى داخل البيت وهو يشد ظهره فى اعتزاز بنفسه .. لقد أصبح الآن إنسانا آخر .. أصبح من الطبقة الراقية .. وبعد خطوة يمكن أن يكون من طبقة الحكام .

وحمل حقيبته الأنيقة المزدحمة بأوراقه وذهب إلى شركة عبد الله بهنس ودخل توا إلى مكتب الدكتور سعيد زهدى ، إنه دائما يرحب بلقائه حتى بلا موعد .. وقال وهو يجلس أمامه ويرفع الحقيبة إلى ركبتيه :

ــ كنت قد نسيت أن أحول الأموال التى سأحتاج إليها فى سفرى .. ولا أدرى ما هى وسائل التحويل الآن .

وقال الدكتور سعيد من خلال نظارته السميكة :

ــ هل تريد شيكات سياحية ؟

وقال مرتضى باسما :

ــ ما رأيك أنت ؟ إن معى عشرة آلاف جنيه قد أحتاج إليها أو إلى بعضها ، فماذا أفعل ؟

وقال الدكتور سعيد ونظارته تلمع أمام عينيه :

ـ يا مرتضى بيه إن مكتب الشركة فى فرانكفورت متكفل بكل ما تحتاج إليه . . وقد أرسلت التعليمات إليه منذ يومين . . ومن رأيى أن تكتفى بتحويل ألفين إلى شيكات سياحية تنفعك أثناء إقامتك فى جنيف . . فأنت لن تبقى هناك إلا يومين كما قلت . . أما باقى المبلغ فتحوله إلى مكتب الشركة فى فرانكفورت ليكون تحت أمرك . . بل إن من رأيى أن تحول كل أموالك إلى هناك مادمت تنوى عقد استيراد آلات الحفر ، فإن الأموال الجاهزة أكثر تأثيرا فى العمل من الأموال البعيدة الموعود بها .

وقال مرتضى وهو مبهور :

ـ تعنى أن أحول الثلاثين ألفا التى أودعتها لديكم فى البنك . .

وقال الدكتور سعيد وهو يعدل النظارة التى تزحلقت على أنفه :

ـ هذا هو رأيى . . والأمر لك . .

وسكت مرتضى برهة ثم قال فى حماسة :

ـ سأحول كل ما أملكه إلى فرانكفورت . . ولو أنى أحس بالمجازفة . .

وقال الدكتور سعيد بلا ابتسام كأنه يعلن شعارا :

ـ إن كل رجال الأعمال الناجحين مجازفون . .

ورفع سماعة التليفون ، وبعد قليل دخل موظف يحمل مجموعة من الشيكات السياحية ومجموعة من الأوراق طلب من مرتضى أن يوقع عليها ، وكان يوقع بعد أن يقرأ منها بضعة سطور ودون أن يفهم شيئا .

وقبل أن يخرج قال الدكتور سعيد وهو يمد له يده بأوراق أخرى :

ـ إن الشركة حجزت لسيادتك تذاكر الطائرة فى الموعد الذى سبق أن حددته . . إلى جنيف ثم إلى فرانكفورت .

وأخذ مرتضى تذاكر الطائرة واتسعت ابتسامته عندما وجد أنها تذاكر من الدرجة الأولى . . الدرجة التى يسافر عليها كبار رجال الأعمال .

وخرج دون أن يمر على عبد الله بهنس ليودعه . . إن عبد الله دائما مشغول وهو معذور .

★★★

وفى مقعد الدرجة الأولى فى الطائرة التى تحمله إلى جنيف طلب مرتضى كوبا من الشمبانيا . . إنها متعة من حق ركاب الدرجة الأولى أن يتمتعوا بها . . ثم فتح حقيبته الأنيقة وأخرج الأوراق الكثيرة التى يحملها وكلها أوراق حملها من مكاتب شركة عبد الله بهنس ، إنها كلها مكتوبة بحروف وأرقام أجنبية وفى سطور ممزقة كما هى العادة فى كل الأوراق التى تصدر عن الشركات والبنوك . . إنه لا يستطيع أن يفهم منها شيئا . . ولكن لا يهم . . إنه مطمئن ، وأغلق الحقيبة ووضعها بجانبه ثم مد يده إلى صدره وتحسس جيب سترته الداخلى ليتأكد من أن المشبك الماسى لايزال فى مكانه . . .

★★★

(١٣)

دخل مرتضى مدينة جنيف وهو يحاول أن يسترد كل ذكرياته القديمة .. إنه منذ أكثر من خمسة عشر عاما جاء مع والده إلى جنيف .. ولم يكن يعلم ماذا يفعل والده هنا .. إن والده لم يطلعه أبدا على خباياه ولا حتى على تفاصيل أعماله الرسمية .. كل ما كان يعلمه أنهما فى طريقهما إلى باريس ، وأن والده صحبه لمجرد الطواف به على العواصم ليزداد علما .. وربما لمجرد التباهى بأنه أصبح من العظمة بحيث يستطيع صحبة ابنه فى رحلاته .. كل العظماء يصحبون أولادهم كلما سافروا إلى الخارج لمجرد تأكيد العظمة .. ولكنه يذكر أن أباه وهما فى جنيف كان يصحبه كل صباح إلى مقهى فى الشارع الكبير حيث يجلس مع رجل يهودى مصرى اسمه إيزاك .. وهو لا يذكر بقية اسمه ولكنه يذكر أن إيزاك كان له شأن كبير بالنسبة لوالده .. كان يتصور أنه يقوم بكل أعمال والده فى هذا البلد .. ربما كان شريكه أو وكيله ..

وتمنى مرتضى منذ وصل إلى جنيف أن يقابل إيزاك .. ربما عرف منه أين كان والده يحتفظ بأمواله المهربة .. الأموال الموضوعة فى أحد بنوك سويسرا تحت رقم سرى .. وربما كان إيزاك وفيا لذكرى والده إلى حد أن يعمل معه على استرداد هذه الأموال .. يكفى أن يثبت أنه ابن المرحوم وأنه وريثه الوحيد فتفتح له كل الخزائن السرية .. وقد

حمل معه الأوراق التى تثبت أنه الوريث الشرعى الوحيد بجانب أمه وأخته ، ثم إن إيزاك يهودى وأقام فى سويسرا منذ طفش من مصر ولا شك أنه يعلم كل خبايا سويسرا وكل أسرارها . .

ولكن . . هل يكتب له الله لقاء إيزاك . .

وأخذ مرتضى يطوف فى شوارع جنيف إلى أن دخل فى شارع . . إنه متأكد أن هذا هو الشارع الذى يقع فيه المقهى الذى كان يجمع بين أبيه وإيزاك . . وهذا هو المقهى .

ودخل مرتضى إلى المقهى وتلفت حوله بسرعة ثم جلس إلى مائدة وكل فكره مركز فى التلفت حوله بحثا عن إيزاك . . إن هناك رجلا يجلس على المائدة البعيدة . . لاشك أنه إيزاك . . لقد أصبح عجوزا بعد كل هذه السنوات ، ولكن لاشك أنه هو . . إنه يذكر أنه كان يضحك بينه وبين نفسه كلما رأى أنفه الكبير . .

وتردد مرتضى برهة ثم قام مجازفا إلى المائدة البعيدة ووقف أمام الرجل متسائلا فى لهجة تغلب عليها الرنة العربية :

ـ مسيو إيزاك ؟

ورفع الرجل عينيه إليه وقال فى هدوء العجائز :

ـ نعم . . من ؟

وقال مرتضى مبتسما ابتسامة واسعة وباللغة العربية . . كان يعلم أن إيزاك يتكلم العربية :

ـ أنا مرتضى ابن المرحوم عبد السلام السلامونى . . لعلك تذكره . . إنى أعلم أنك كنت أقرب أصدقائه . .

وهب إيزاك واقفا وهو يلتقط يد مرتضى ويهزها بفرحة :

ـ أهلا . . أهلا بابن الصديق العزيز رحمه الله . . كيف أحوالك وكيف أحوال مصر . . أرجو أن تكون قد ورثت عن أبيك عبقريته . .

وأجلسه إيزاك بجانبه فى فرحة ونادى الجرسون وطلب له مشروب القهوة الفرنسى قائلا :

ـ كان أبوك يشرب دائما هذه القهوة . .

ثم انطلق إيزاك لا يكف عن الكلام ويسأله عن الأحوال فى مصر . . إن إيزاك لايزال متحسرا على أيامه فى مصر ويتمنى قبل أن يموت أن يعود إلى مصر ليدفن هناك . . إنه يستطيع الآن أن يعود إلى مصر . . كل شىء تغير . . ثم أخذ يحدثه عن أيامه مع أبيه . . لقد كان عبد السلام السلامونى أعجوبة . . كان لا يكف عن المجازفات ، وكا دائما يربح كثيرا . .

وقاطعه مرتضى قائلا :

ـ إنى أعلم أن أبى كان يحتفظ بكل أرباحه فى الخارج . . هنا فى سويسرا . . ولكنى لم أعلم حتى الآن أين يحتفظ بها . .

وقال إيزاك ضاحكا :

ـ لقد كان أبوك شديد الحرص . . لم يكن أحد يعرف أين يحتفظ بأمواله . . وقد أتعبتنى المخابرات المصرية ظنا منها أنى أعرف . . ولكنى فعلا لم أكن أعرف وإلى الآن لا أعرف . . ربما كان المرحوم يحتفظ بأسراره بين أوراقه . . هل راجعت أوراقه بعد وفاته . .

قال مرتضى متحسرا :

ـ أنت تعرف أن أبى قبل أن يموت وضع تحت الحراسة ، وقد فتحوا كل أدراجه وخزائنه وأخذوا كل الأوراق . . وأنا لا أدرى كيف أحصل على حقوقى . .

وقال إيزاك فى لهجة ساخرة :

ـ لو كانت الحراسة قد وجدت الأرقام السرية فى الأوراق فربما استطاعت بالاتصالات الدولية أن تحصل على الأموال . . إنى أعرف واحدا من رجالكم كان كأبيك يحتفظ بالملايين فى الخارج . . وكان قد

قبض عليه واستطاعت الحكومة أن تهدده إلى أن قبل أن يفرج عنه ويسافر إلى الخارج ويعود بأمواله ثم يعود أيضا إلى السجن . . ربما حدث نفس الشىء مع أبيك . . لعله أراد أن ينقذك وينقذ بقية عائلته فقبل أن يتنازل عن أمواله للدولة . . وليس معنى هذا أن الدولة هى التى استولت عليها . . ولكنه رئيس من الرؤساء تولى العملية بنفسه وأخذ الأموال من أبيك لنفسه . . لاشك أنك سمعت عن كثير من هذه الحكايات . . أما إذا كانت الحكومة تجد الأرقام السرية فلا أحد سيعرف أين أموال أبيك .

وقال مرتضى فى رجاء :

— ألا يمكن إيجاد وسيلة للبحث عنها . .

وقال إيزاك وهو ينظر إلى مرتضى فى إشفاق :

— البحث عنها أين . . إنه قد يكون قد وضع أمواله فى سويسرا أو فى أمريكا أو فى لندن . . وحتى لو سلطنا كل الوساطات على بنوك سويسرا للكشف عن أموال أبيك فلن يستجيب أى بنك لأنه ليس لأى بنك مصلحة فى هذه الاستجابة . . فإن الودائع السرية تنقل إلى ملكية البنك نفسه إذا انقضى ثلاثون عاما دون أن يظهر صاحبها . . وكل بنك طبعا يتمنى أن يصبح صاحب هذه الأموال . .

وسكت مرتضى برهة يتنهد فى أسى ثم قال :

— إنى أعرف أن جنيف كانت مركز المخابرات المصرية . . ألم تستطع هذه المخابرات أن تجد شيئا . .

— وقال إيزاك وهو يدير عينيه كأنه لا يريد أن يتكلم فى هذا الموضوع :

— لا أدرى . .

وقال مرتضى :

— ألا يزال المركز الرئيسى للمخابرات هنا . . فى جنيف ؟ !

وقال إيزاك فى نفور :

— لا أدرى . .

ثم التفت إلى مرتضى وقال وقد استرد ابتسامته :

— تعال نتحدث عن مصر . . إنى لا أشبع من الحديث عن مصر . .

وعاد إلى الحديث عن مصر ، ومرتضى حائر فى تركيز عقله حول خططه . . ولكنه قاطعه أخيراً سائلا :

— هل تعرف محل مجوهرات موثوقاً به هنا ؟

وقال إيزاك من خلال ابتسامة خبيثة :

— للبيع أم للشراء ؟

وقال مرتضى فى لهجة جادة كأنه يتعمد أن يحد من جرأة إيزاك ؟

— سواء للبيع أو للشراء . .

وقال إيزاك وهو يبتسم ابتسامة استهانة :

— كل المحلات هنا للبيع والشراء . . وإذا أردت أرقى محل فاذهب إلى محلات بياجيه . .

وعاد إيزاك إلى الحديث عن مصر إلى أن استأذن مرتضى على أن يلاقيه فى اليوم التالى وخرج وهو تائه . . لقد كان يحلم بأن يعاونه إيزاك على العثور على أموال أبيه . . ولكنه أفاق على لا شىء . . وقد فكر فى أن يعاونه إيزاك أيضاً فى بيع المشبك الماسى . . إنه يهودى خبير ، ولا شك أنه جرب خبرته فى عمليات سرية مع كثير من رجال الأعمال كما جربها مع أبيه ، ولاشك أن من السهل عليه أن يبيع هذا المشبك سواء كان مسروقاً أو مهرباً . . ولكن الحديث عن المخابرات غير رأى مرتضى . . إن إيزاك لم يرحب بالتحدث عن أسرار المخابرات المصرية ، من يدرى . . لعله من عملاء المخابرات . ربما كان هذا

هو السبب الذى دفع والده إلى إخفاء الكثير عنه حتى أخفى عنه اسم البنك الذى يتعامل معه . . لا . . يجب أن يعتمد على نفسه ... إنه لا يستطيع المجازفة بالاعتماد على رجل لا يعلم عنه إلا أنه كان يتعاون مع أبيه . . وهو يستطيع الاعتماد على وفاء عبد ا لرازق الخولى مثلا ولكنه لا يستطيع الاعتماد على وفاء إيزاك لأبيه . . إنهم هنا لا يعرفون معنى الوفاء . .

وقضى يومه وليلته وهو يطوف بشوارع جنيف . . إنه منذ أكثر من عشر سنوات لم يسافر إلى ا لخارج ، ورغم ذلك فهو لا يشعر بالبهرة التى كان يحس بها كلما سافر إلى الخارج . . لا يحس بشبابه فيجرى وراء الشهوات الصاخبة . . حتى فى جنيف هناك سهرات صاخبة . . ولا يحس أنه يريد أن يصطاد امرأة من الشارع أو من مقهى كما تعود كلما سافر إلى أوربا وهو فى شبابه . . إن فى جنيف أيضا نساء للصيد رغم أنهن لسن نساء سويسريات . . إن نساء سويسرا دمهن ثقيل فى الليل وفى النهار . . واكتفى بأن تناول عشاء فى محل مر به ثم عاد إلى الفندق الكبير الذى أقام فيه وهو لايزال مشغولا بخططه التى يبنى بها مستقبله

وكان قد مر على محل بياجيه وعرف مكانه . . وفى صباح اليوم التالى ذهب إليه بعد أن تعمد أن يكون فخما أنيقاً فى مظهره كواحد من كبار رجال الأعمال .

واستقبله أحد الموظفين باحترام كبير . . وقال له مرتضى فى عنجهية مفتعلة :

ــ من المدير هنا ؟

وقال الموظف فى انحناءة مهذبة :

ــ أى خدمة . . ؟

وقال مرتضى بلغة إنجليزية ممزقة تغلب عليها اللهجة العربية :

ــ إنى أريد مقابلة المدير . . إنها مسألة خاصة . .

ونظر إليه الموظف طويلا ثم قال فى أدب :

ــ دقيقة واحدة . .

وتحرك مرتضى فى خطوات بطيئة كأنه يتطلع إلى المعروضات من المجوهرات الرائعة وهو فى الواقع لا يرى شيئاً . . إلى أن عاد إليه الموظف قائلا فى احترام كبير :

ــ تفضل . . إن مسيو ستافرو يرحب بسيادتك . .

ودخل مرتضى وهو يشد ظهره محتفظاً بمظاهر العظمة . . واستقبله مسيو ستافرو مرحباً يقدم له المقعد وهو يسأله :

ــ هل جنابك عربى ؟

وقال مرتضى فى عنجهية وبلا تفاصيل :

ــ نعم . .

واتسعت ابتسامة الترحيب بين شفتى ستافرو وقال :

ــ إننا فى الخدمة . . إن لنا الكثير من الأصدقاء العرب . وبياجيه أصبح فى كل مدينة عربية . .

وقال مرتضى متعمداً لهجة الغطرسة وإن كان لا يبخل بابتسامته :

ــ الواقع أنى لم آت للشراء ولكنى جئت للبيع . . إنها قطعة عزيزة على ومن أعز ما تعتز به العائلة ، ولكنه الملل ، لقد مللتها ، وخصوصا أنى طلقت زوجتى . .

وقال ستافرو دون أن يفقد حماسه أو يضعف من ترحيبه :

ــ نحن فى خدمة كل السادة العرب . .

ومد مرتضى يده فى جيبه الداخلى وأخرج المشبك الماسى الكبير وناوله لستافرو قائلا :

ـ هذه هى . .

واتسعت عينا ستافرو كأنه فوجىء ، وأخذ يقلب المشبك بين يديه وهو يحلق فى الجواهر المرصعة عليه ، ثم أخرج من جيبه عدسة صغيرة ألصقها فى عينيه وعاد يحلق فى كل قطعة من المشبك . . ثم قام واقفاً قائلا فى انحناءة كمزيد من الاحترام :

ـ عن إذنك . . دقيقة واحدة . .

وأخذ ستافرو المشبك ودخل به إلى حجرة مجاورة . . ومرتضى يتتبعه فى دهشة . . عم يبحث هذا الرجل . . إن كل شىء بين يديه . . يشترى أو لا يشترى فما حاجته إلى الاختفاء . .

وعاد ستافرو بعد أكثر من خمس دقائق . . وكان الخادم قد دخل فى هذه الفترة وقدم لمرتضى كوباً من عصير البرتقال لم يقربه . .

وقال ستافرو وهو يعود ويجلس فى مقعده :

ـ هل جنابك مصرى ؟

وتعجب مرتضى من هذا السؤال . . إنه لم يقل أنه مصرى فكيف عرف ستافرو . . وأجاب وهو يبذل مجهوداً أكثر للاحتفاظ بغطرسته :

ـ نعم . . لماذا تسأل ؟

وقال ستافرو مبتسماً :

ـ لمجرد التعارف . . هل تعرف الأميرة فادية ؟

وقال مرتضى فى دهشة يتردد معها القلق :

ـ من هى الأميرة فادية ؟

وقال ستافرو محتفظاً بابتسامته :

ـ كانت من أكبر زبائن بياجيه . . إنى أسأل بعد أن عرفت أنك مصرى . .

وقال مرتضى فى حدة :

ـ لم يعد فى مصر الآن أميرات . .

وقال ستافرو فى هدوء :

ـ أعرف . . هل يمكن أن تترك هذه القطعة عندنا إلى أن ننتهى من الاتصال بالأسواق العالمية . . إنها قطعة تاريخية ثمينة . . ولها ثمن خاص ولا يمكن بيعها كقطعة عادية . .

وقال مرتضى وهو يقفز واقفاً بعد أن مد يده وشد المشبك من يد ستافرو :

ـ لا . . سأمر عليك غداً وتكون قد انتهيت من اتصالاتك . .

وقال ستافرو دون أن يهتز :

ـ هل يمكن أن تترك اسمك . .

وقال مرتضى فى حدة . .

ـ لا . . ستعرف اسمى وأنا أوقع ورقة البيع والشراء . .

وقال ستافرو هادئاً :

ـ إنها إجراءات عادية . . نريد أن نتشرف باسمك ومكان إقامتك حتى نتصل بك لأى طارىء . .

وقال مرتضى وهو يبتعد وكأنه يهرب :

ـ لا . . قلت لك أنى سأمر عليك غداً صباحاً فى مثل هذا الموعد . .

ثم كأنه استدرك نفسه قبل أن يجرى هارباً ومد يده يصافح ستافرو ، وخرج وهو يضغط على كل أعصابه حتى تكون خطواته هادئة ، وستافرو ينظر وراءه دون أن يقوم بوداعه حتى الباب . .

وابتعد مرتضى عن محل بياجيه وبدأت خطواته ترتبك فى مشيته وفى عينيه هلع تطلقه أفكاره . . لاشك أن هذه المحلات الكبيرة تحتفظ بسجلات لكل ما تبيعه من القطع الغالية الفريدة فى نوعها . . ولاشك أن هذا الرجل حمل المشبك ودخل به إلى الغرفة السرية واكتشف أنهم سبق أن باعوه إلى أميرة تدعى الأميرة فادية . . لا شك أنها كانت صاحبة المشبك الذى سرقه أبوه أيام فرض الحراسة على أفراد العائلة المالكة ومن بينهم الأميرة فادية . . وماذا سيفعل ستافرو الآن . إنه على الأقل كان سيبدأ بمطالبته بأوراق الملكية . . إن هذه القطع النادرة لابد أن يكون لها أوراق بيع وشراء . . وهو لا يملك أى أوراق تصون له هذا المشبك . . إنه مشبك سرقه أبوه من القصر وهو سرقة من مطلقته نسليار . . ولكنه إذا لم يقدم أوراق ملكية إلى ستافرو فلا شك أنه سيبلغ البوليس بأنه قد عرضت عليه قطعة مسروقة . . ثم لا شك أن الخبر سيوزع على جميع محال بيع المجوهرات فى هذا البلد . . فى سويسرا كلها . . ولن يستطيع بيع المشبك ، بل إن الاحتمال الأكثر هو أن يبدأ البوليس السويسرى فى البحث عنه حتى يقبض عليه . . إنه مهدد بالقبض عليه . . وهو غبى . . حمار . . لم يرث عن أبيه عبقريته فى السرقة . . إن المجوهرات المسروقة لا تباع فى المحال العامة المعروفة حتى لو كانت خارج البلد . . كان يجب منذ البداية أن يقرر بيعها سراً . . فى السوق السوداء . . سوق اللصوص . .

وجرى داخل الفندق إلى موظف الخدمات وقال فى صوت مرتجف :

ــ هل يمكن أن أجد طائرة إلى فرانكفورت اليوم . .

وقلب الموظف فى الأوراق التى أمامه وقال فى هدوء :

ــ هناك طائرة تقلع فى العاشرة مساء . .

وقال مرتضى بسرعة :

ــ احجز لى فيها . . ولا يهمك الحساب . .

وأخرج من جيبه بضعة دولارات ناولها للموظف كرشوة . . ثم جرى إلى مكتب آخر وأخرج من جيبه محفظته وقلب فى الأوراق التى تحملها ثم أملى برقية بالتلكس إلى مكتب شركة عبد الله بهنس فى فرانكفورت . . الحمد الله لقد كان يحتفظ بالعنوان . . ثم جرى إلى غرفته وجمع حقائبه ودفع حساب الفندق ثم خرج بالحقائب وفى جيبه تذكرة الطائرة ، وركب سيارة طلب منها أن تحمله إلى أرض المطار . . لايزال الوقت طويلا . . إنه فى الظهر والطائرة لن تقلع إلا بالليل . . ولكن فلينتظر هنا . . إنه هنا أكثر أمانا وأبعد عن البوليس . .

وبقى فى مقهى المطار وهو يتتبع فى فزع كل من يمر به . . لعله من رجال البوليس . .

ومرت الساعات ثقيلة . . . مخيفة . . مفزعة . . تهرى فى أعصابه . . ولكنه يعترف لنفسه بأنه يستحق ما جرى له . . إنه غبى . . حمار . . لم يرتفع بعد إلى عقلية رجل الأعمال الناجح . . إلى أن ركب الطائرة . .

★ ★ ★

(١٤)

وكانت المسافة قصيرة بين جنيف وفرانكفورت حاول مرتضى خلالها أن يسترد كل أعصابه وأن ينسى أوهامه حتى يبدو كاملا عندما يصل . . بل إنه بدأ يهنىء نفسه . . إنه نبيه ذكي له القدرة على تقدير كل المخاطر ، ولولا ذلك لما فكر فى الهرب من سويسرا قبل أن يتحرك البوليس للقبض عليه . . هل كان البوليس سيقبض عليه ؟ . . لا . . حتى لو ثبتت عليه السرقة . . فإنها سرقة لم تقع على أرض سويسرية . . ولم يظهر للمشبك صاحب يبلغ عن سرقته . . ليس للبوليس السويسرى حق عليه . . ورغم ذلك فقد كان فى قمة الذكاء عندما اتخذ طريق الحذر وهرب .

وفوجىء مرتضى باستقباله فى المطار . . لقد جاء عزيز مرسى وكيل عبد الله بهنس فى فرانكفورت يستقبله عند سلالم الطائرة ومعه اثنان من الألمان . . وصافح عزيز مرسى مرتضى بترحيب كبير وهو يهبط أدراج سلم الطائرة ، ثم قدمه إلى الاثنين اللذين معه . . أحدهما المسئول الادارى والثانى كبير المهندسين . . هكذا قدمهما عزيز مرسى وهو يتكلم باللغة العربية . . ويبدو أن لهم نفوذاً كبيراً . . إن رجال المطار يفسحون لهم الطريق ويفتحون كل الأبواب بلا سؤال . . وأخذ عزيز مرسى جواز سفر مرتضى وناوله لأحد الرجلين واستمر سائراً به دون أن يتوقف لا على مكتب جوازات ولا على مكتب

الجمارك . . إن لهما نفوذا كبيراً . . ووجد مرتضى سيارة مرسيدس فخمة فى انتظاره خارج المطار . . وركب معه عزيز مرسى وهو لا يكف عن الكلام . . وقاطعه مرتضى قائلا :

ــ ألا ننتظر الحقائب . .

وقال عزيز ضاحكاً :

ــ ستجدها فى انتظارك فى غرفتك بالفندق . .

وعزيز لا يكف عن الكلام . . يتحدث أحياناً عن مصر . . وأحيانا عن آلات الحفر . .

وأحيانا يشير إلى بعض معالم المدينة التى يمران بها ، ويبدأ الحديث كأنه من رجال السياحة . . إلى أن وصلوا إلى الفندق وقاده عزيز إلى مكتب الاستقبال وقدمه على أنه الضيف الكبير المنتظر ثم أخذ يتكلم الألمانية التى لا يفهم منها مرتضى شيئاً . . ثم صحبه إلى الغرفة المخصصة له . . إنها غرفة كبيرة فخمة ملحق بها صالون صغير يتوسطه « بار » يتجمع فوقه كل أنواع زجاجات الخمر . . واطمأن مرتضى وهو يرى حقيبته وقد سبقته إلى الغرفة . . وقال مبتسما :

ــ إنها غرفة فخمة . .

وقال عزيز وابتسامته أوسع :

ــ كنا نريدها أفخم حتى تليق بمقام سيادتك . . ولكن الفنادق مزدحمة هذه الأيام . . والآن . . هل تريد سيادتك أن تسهر خارج الفندق . .

وقال مرتضى فى دهشة :

ــ أسهر أين ؟

وقال عزيز ضاحكاً :

ــ إن فرانكفورت مشهورة بالسهرات . . سهرات هادئة

وسهرات صاخبة . . كما تريد . .

وقال مرتضى وهو يقاوم شهواته ليعترف بواقعه :

ــ هذه الليلة لا أستطيع . . لقد قضيت يوماً متعباً وأفضل أن أنام وأستريح . .

وقال عزيز بسرعة :

ــ كما تريد . . وغداً فى التاسعة صباحاً سأمر عليك ونذهب لزيارة مكتب شركة الصناعات . .

وقال مرتضى وهو متعجب فعلا . .

ــ فى انتظارك . .

وخرج عزيز وعاد مرتضى يطوف بأنحاء الغرفة ويطل من الشبابيك ثم وجد نفسه يخلع ثيابه بسرعة ويلقى بنفسه على الفراش ونام . . كان تعبه أقوى من أن يحرمه من النوم أو يتركه لأفكاره . .

وفى الصباح التالى تيقظ نشطاً يغمره إحساسه وتستبد به أفكاره بالعملية الضخمة التى يقدم عليها . . عملية استيراد آلات الحفر . . وجاء عزيز . . إن عزيز مرح دائماً خفيف الظل ، ويقدم خدماته بسهولة وبلا تردد . . إن مرتضى ارتاح إلى عزيز من أول يوم . . يحس كأنهما أصدقاء قدامى لا أسرار بينهما . . وأخذه عزيز إلى مكتب الشركة الألمانية . . واستقبلوه هناك باحترام كبير وترحاب ، واجتمع به أكثر من ثلاثة خبراء يشرحون له العملية وأسرار آلات الحفر وتاريخها . . وحديثهم كله بالألمانية لا يفهم مرتضى منه إلا ما يترجمه عزيز . . ورغم ذلك فمرتضى يجلس بينهم كأنه يفهم ويريد أن يفهم أكثر . . ويلقى أسئلة قد تكون تافهة ولكنه يلقيها باللغة العربية ويتلقاها عزيز ويترجمها إلى الألمانية فتبدو كأنها أسئلة مهمة ويتحمس رجال الشركة للرد عليها .

وانتهت الزيارة بعد أن اتفقوا على أن يقوم مرتضى بزيارة مصانع

الشركة خارج المدينة ليلم بنفسه بتفاصيل صناعة الآلات . . إنه اعتراف بعبقرية مرتضى وأهميته . . وفى الطريق وهما خارجان سأله عزيز :

— هل تحب أن تذهب إلى مكتبنا ليتشرف بزيارتك . .

قال مرتضى فى بساطة :

— أريد أن أذهب أولا للشراء . . شراء بدلة وجزمة . .

إنه منذ أكثر من عشر سنوات لم يشتر بدلة جديدة . . كان مكتفياً بالبدلتين القديمتين اللتين بقيتا له منذ أيام فرض الحراسة . . حتى بعد أن رزقه الله ووهبه الأموال التى أمده بها محروس لم يشتر بدلة . . كان يخاف أن تكشف مظاهر العز عن أسراره ، أو تثير الشكوك حوله ، ولذلك لم يشتر بدلة كما لم يشتر سيارة . . ولكنه الآن بعيد عن مصر . . وأخذه عزيز إلى محل تجارى ضخم . . وقضى مرتضى وقتاً طويلا بين المعروضات والبهرة تلاحقه . . إنه مبهور بكل شىء حتى لا يستطيع أن يختار . . وعزيز بجانبه يلاحقه برأيه وأحياناً بالنكات . . إلى أن اختار مرتضى بدلة وقميصين وثلاثة أزواج من الجوارب وحذاء . . واتجه ليدفع ثمن ما اشتراه فقال له عزيز وهو يشده بعيداً :

— لا . . إن الأوامر وصلتنى بأن تتكفل الشركة بجميع مصروفاتك . .

وقال مرتضى وكأنه فوجىء :

— ليس إلى هذا الحد . . إن الشركة تستضيفنى بدفع نفقات الاقامة لا بدفع مشترياتى .

وقد كان فعلا يستطيع الدفع . . إن الألفى جنيه التى حملها لم ينفق منها شيئاً كبيراً عندما أقام فى جنيف يوماً واحداً . . ولا يمكن أن يترك عبد الله بهنس يشترى له بدلة وحذاء . . وصمم على أن يتولى هو الدفع . . وابتسم عزيز قائلا :

— دعنى أدفع هذه المرة حتى لا أخالف الأوامر . . وتدفع أنت فى المشتريات القادمة .

وتركه مرتضى يدفع وهو مندهش أن يصل كرم عبد الله بهنس إلى هذا الحد . . ربما كانت هذه هى طبيعة رجال الأعمال . . ولكن رجل الأعمال يدفع ليأخذ . . فماذا سيأخذ منه عبد الله بهنس . . وطرد مرتضى هذا الخاطر من عقله وهو يقنع نفسه بأن بهنس يأخذ زبوناً . . وهو زبون لقطة . .

وذهب مرتضى مع عزيز لزيارة مكتب شركة بهنس . . وعرف كل الموظفين هناك الذين استقبلوه بترحاب متعمد تغلب عليه لغة التقاليد الرسمية . . ودارت أحاديث طويلة لم يفهم مرتضى معظمها خصوصاً ما يمس منها الأعمال الفنية ولكنه كان سعيداً بالهيبة والاحترام اللذين يسبغانها عليه ، وينعش إحساسه بأنه رجل أعمال عالمى .

وكان قد اتفق مع عزيز على قضاء سهرة صاخبة . . ووقف أمام المرآة يرتدى حلته الجديدة والحذاء الجديد وأحس وهو أمام المرآة كأنه أصبح رجلا آخر . . أصبح ابن ذوات . . عاد كأنه ملك ابن ملك . . ثم ذهب إلى البار فى الغرفة الملحقة وصب لنفسه كأساً من الويسكى . . هكذا يفعل أولاد الذوات ليستعينوا بالكأس على الاحتفاظ بنشاطهم خلال السهرة . .

وجاء عزيز بسيارة يقودها وبجانبه امرأة . . وفى المقعد امرأة أخرى . . وقدمها له عزيز . . وأشار إلى السيدة التى تجلس بجانبه قائلا . . مونيكا . . ثم التفت إلى من بجانبه . . وهذه زابينا . . وجلس فى السيارة مهذباً . . لقد مضى عليه وقت طويل لم يصاحب امرأة غربية . . إن مونيكا جميلة . . الشعر الأصفر . . والعينان الخضراوان واللون الأبيض كالبريق . . إنه نسى هذا النوع من الجمال منذ أصبح فلاحاً يعيش فى كفر الجبل . . وليس حوله جمال إلا جمال زوجته فهيمة . . وبدأت الكلفة تزول شيئاً فشيئاً ، ومرتضى يتجرأ

على مونيكا ، ولكن كان وصول أحدهما إلى الآخر مستحيلا ، فهى لا تتكلم إلا اللغة الألمانية التى لا يعرف منها شيئاً .. واللغة الانجليزية لا يفهم منها كلاهما إلا كلمات . . وفى الملهى الكبير الراقص بدأ مرتضى يشرب ويشرب . . إنه سكران . . ولعله لاحظ الهدوء الذى يتعامل به عزيز مع المرأة الأخرى زابينا . . فسأله وهو يقهقه عالياً :

ـ هل هى زوجتك ؟

وقال عزيز وهو يشاركه الضحكة :

ـ تقريبا . . هل تريد أن تبادل ؟

وقال مرتضى وكلماته تترنح :

ـ لا . . إنى سعيد بمونيكا . . ولكنى أسأل لأنك صامت مع زابينا ، ولا يسكت الرجل أبدا إلا مع زوجته . .

ثم قام وشد مونيكا لترقص معه . . حتى الرقص نسيه ، ولم يكن أبدا متفوقاً فيه ، وهو يتحرك بمونيكا كأنه يرقص رقص فلاحى ، ومونيكا تطاوعه ثم تتركه يقبل عنقها ويرتفع بشفتيه إلى وجهها . . وهى تضحك . . لا شىء غريب عليها . . ولا شىء يفاجئها إنها تؤدى مهمتها . .

وقال عزيز ضاحكاً وهم يهمون بركوب السيارة للعودة :

ـ هل تنام وحدك أم تريد مونيكا معك ؟

وقال مرتضى وهو يترنح :

ـ لن أنام وحدى . . إن مونيكا لا تستطيع أن تستغنى عنى . .

ونزل من السيارة مع مونيكا أمام باب الفندق . .

وعاد يحلق فى جمالها وهى فى أحضانه على فراشه . . إنها استجابت تلقائياً . . ما كادت تدخل الغرفة حتى خلعت ثيابها وارتمت على الفراش . . وهو يحلق فيها . . إنها تذكره بتريشيا الفتاة

التى عاشت معه فى موسكو عندما كان طالباً هناك فى شبابه . . ولكنه نسى بتريشيا . . ونسى كيف كان يجمعه معها الفراش . . لا يعرف كيف يبدأ ولا ماذا يريد أن يصل إليه . . لا يحس بشىء يتحرك فيه . . لا يحس بنشوة ولا بشهوة . . ربما لأنه أصبح فلاحاً لا تحركه إلا فلاحة كزوجته فهيمة . . ربما لو كانت مونيكا فلاحة مثل فهيمة لحركت إحساسه بها . . ولكنها ليست فلاحة . . والخمر تضغط على رأسه ، ولا يستطيع أن يقاوم عينيه وهما تسقطان بحثا عن النوم . .

ونام بلا شىء . .

وتيقظ فى الصباح ولم يجد مونيكا بجانبه . .

★★★

وكانت قد مرت أربعة أيام قضاها مرتضى فى زيارات كأنها زيارات عمل إلى أن استدعى عزيز يوماً إلى جلسة خاصة فى الغرفة الملحقة بغرفته فى الفندق وقال له فى صوت جاد خفيض :

ـ أحب أن أقول لك أنى أثق فيك ثقة كاملة . . إن أكثر ما يساعد عبد الله بهنس على النجاح هو قدرته على اختيار الرجال الصالحين ، وأنا أهنئه على اختيارك . . ولذلك فقد قررت أن أعتمد عليك فى شىء أعتبره سراً كبيراً بالنسبة لى . .

وقال عزيز مبتسما فى هدوء :

ـ أنا فى الخدمة يا مرتضى . . وأنا لا أعتبرك مجرد صديق أو عميل للشركة ، ولكنى اعتبرتك صديقى الخاص . . ولا تنتهى صداقتنا سواء كنا هنا أو فى مصر . .

وقال مرتضى فى صوت أكثر جدية :

ـ سأدخل فى الموضوع مباشرة . . فأنت تعلم أن الحراسة كانت قد فرضت على أبى وقد استطعت أن أهرب من الحراسة قطعة ماسية

أثرية تساوى مبلغاً كبيراً . . وهى معى الآن . . وأريد بيعها حتى أضيف ثمنها إلى حساب استيراد آلة الحفر . . وأريدك أن تساعدنى . .

وقال عزيز وقد ارتفعت عيناه كأنه فوجىء :

ـ هل هى قطعة تستحق مبلغاً كبيراً . .

وأخرج مرتضى المشبك الماس من جيبه وقال وهو يقدمه لعزيز :

ـ هذه هى . . كم تساوى فى نظرك ؟

ونظر عزيز إلى المشبك الماس فى انبهار وقال :

ـ إنها رائعة إلى حد أنى لا أستطيع أن أقدر ثمنها . .

وقال مرتضى :

ـ إنى أقدر ثمنها بنصف مليون جنيه . . أى أكثر من مليون مارك . .

وقال عزيز :

ـ هذا مبلغ كبير ولا نستطيع أن نجد من يدفعه إلا إذا عرضنا العملية على أحد المحال الكبيرة . .

وقال مرتضى بسرعة وبصوت عال مرتعش :

ـ لا . . لا يمكن . . إن محال المجوهرات تطلب المستندات التى تثبت ملكية كل قطعة من الماس . . وأنا لا أحمل أى مستند . . وكان أبى يحتفظ بالمستندات وضاعت مع دوشة الحراسة التى فرضت عليه . . ولكن لاشك أن هناك من يشتريها دون أن يسأل عن المستندات . . إنى فى حاجة إلى بيعها لأغطى حسابات استيراد آلة الحفر . .

وقال عزيز فى هدوء :

ـ ارجوك دعنى أفكر وأبحث بضعة أيام لعلى أصل إلى

نتيجة . . ووافقه مرتضى وتركه يخرج بعد أن استرد منه المشبك . .

ومضى يومان وهما يتقابلان دون أن يتحدث أحدهما عن بيع المشبك . . كأن كلا منهما واثق فى أن الآخر لن ينسى . . إلى أن كان اليوم الثالث وطلب عزيز أن يقابله فى غرفته الخاصة وسيكون معه رجل آخر . .

وكان الرجل الآخر الذى قدمه عزيز إلى مرتضى هو الهربرخت . . وهو عجوز صامت الوجه ضيق العينين حتى لا ترى ما يعبران عنه . . إن الهر برخت مستعد لشراء المشبك . . ووضع مرتضى يده فى جيبه الداخلى وأخرج المشبك الماسى وقدمه للهربخت . .

وأخذ برخت ينظر فى المشبك دون انبهار وأخرج عدسة صغيرة وأخذ ينظر بها فى كل فص من الفصوص ثم قال فى هدوء :

ـ عشرة آلاف مارك . .

وفهم مرتضى رغم أنه قالها باللغة الألمانية وصرخ :

ـ كيف أقول . . عشرة آلاف مارك . . يعنى أقل من خمسة آلاف جنيه مصرى . . إنها قطعة أثرية . . إنها تحفة تساوى الملايين . .

وترجم عزيز هذا الكلام للهربرخت الذى قال :

ـ إنى لن أستطيع أن أستفيد منها كقطعة أثرية أو كتحفة . . إنى سأضطر إلى تقطيعها وبيعها كمجرد فصوص عادية . .

وترجم عزيز هذا الكلام لمرتضى . . وانكمشت نظرات مرتضى . . إن الجميع يقدرون أنها قطعة مسروقة . . وقال فى صوت حزين :

ـ لا يمكن أن أبيعها بعشرة آلاف مارك . .

ودخل عزيز مع الهربرخت فى مناقشة طويلة باللغة الألمانية لم

يفهم مرتضى منها شيئاً . . إلى أن التفت عزيز إلى مرتضى قائلا :

ـ لقد أقنعته بأن يدفع عشرين ألفاً . . وقد رضى بعد أن وعدته بأن أمده بزبائن من عرب البترول يشترون منه . .

وقال مرتضى فى شخطة :

ـ إنه لو باعها لأحد أمراء البترول فلن يأخذ أقل من مائة ألف . .

وقال عزيز مبتسما كأنه يهدىء من حدة مرتضى :

ـ إنه لن يبيعها كما هى . . إن هؤلاء الناس جبناء يخافون كل شىء . . وسيضطر إلى تقطيع المشبك إلى فصوص عادية كما قال حتى لا يعرض نفسه للمشاكل . . ومن رأيى أن تقبل . .

وقال مرتضى ساخطاً :

ـ لا يمكن . . عشرين ألفا تعنى أقل من عشرة آلاف جنيه .

وقال عزيز ولهجته تنبض بالخبث :

ـ مادمت تستغل هذا المبلغ فى تغطية عملية آلة الحفر فإن أى جنيه تزيده يخفف من مسئولية شركتنا التى تتولى ضمان العملية كلها . .

وظل النقاش بين الثلاثة . . ومرتضى يضعف وينهار عناده أمام إحساسه بأنه كان غبياً لأنه لم يحسب حساب أن هذا المشبك يعتبر مسروقاً فى كل أنحاء العالم . . وأخيراً قبل مرتضى بيع المشبك . .

وفى اليوم التالى جاءه الهربرخت مع عزيز ودفع له المبلغ . . عشرين ألف مارك . . إنه لا يستطيع أن يدفعه بشيك على البنوك فإن التعامل بالمسروقات لا يقبل الشيكات . . جاء بها ورقة فوق ورقة ملفوفة فى أوراق عادية . كما كان محروس يأتى إليه بالمسروقات ملفوفة فى أوراق . .

وقال مرتضى بعد أن خرج الهربرخت :

ـ والآن كيف أتصرف فى هذا المبلغ ؟

وقال عزيز من خلف ابتسامته الخبيثة :

ـ إذا أردت فإنك تستطيع أن تحملها إلى مكتبنا ليضيفها إلى رأس مال العملية .

وهذا ما فعله مرتضى .

وضع كل المبلغ فى حساب شركة عبد الله بهنس . .

لقد أعطى لمكاتب عبد الله بهنس كل ما يملكه . . عشرين ألفاً ثم عشرة آلاف . . ثم عشرة . . ثم العشرين ألف مارك . . إنه وضع فى المشروع خمسين ألفاً . . كل ما سرقه . . وكل ما يملكه . .

إنه الآن لا يملك ولا مليما . . .

★★★

(١٥)

كان مرتضى قد تعمد أن يطيل وجوده فى فرانكفورت بعد أن اكتشف أنه لم يعد يملك ولا مليما كأموال سائلة يستطيع أن يضعها فى جيبه ويتصرف فيها . . كل أمواله إلى آخر مليم وضعها فى مشروع استيراد آلات الحفر . . وليعترف بالواقع أن كل أمواله أصبحت فى يد عبد الله بهنس من خلال شركاته . . وقد أراد أن يبقى أكثر فى فرانكفورت كأنه يريد أن يستغل أمواله أكثر . . إن مكتب بهنس هو الذى يتولى الانفاق عليه . . فلينفق أكثر . . وفى كل ليلة كان يطلب من عزيز مرسى أن يقضى معه سهرة صاخبة . . وفى ليلة طلب أن يأتى له بالمرأة الجميلة مونيكا . . إنه يريد أن يجرب معها مرة ثانية . . لقد فشل معها فى المرة الأولى لأن شخصية الفلاح كانت متغلبة عليه . . لأنه كان قد تعود على فهيمة . . ويجب أن يتخلص من شخصية الفلاح ومن تعوده على فهيمة . . يجب أن يكون رجل أعمال . . ورجل الأعمال لا يرتبط بأحاسيسه ، إنه يرتبط فقط بما يأخذ . . ومونيكا جميلة وهو سيأخذ جمالها ولن يدفع شيئاً . . إن عبد الله بهنس هو الذى سيدفع لها . . لا شك أن بهنس وضع ميزانية مخصصة لايقاع كل من هو فى حاجة إليهم من أصحاب التوقيعات الذين يرسلهم أحياناً إلى فرانكفورت وإلى غيرها من عواصم أوربا ليتظاهروا بأنهم يكشفون على البضاعة قبل الموافقة على استيرادها . . وعزيز كما قدم له مونيكا فى ليلة واحدة قدم له فى ليلة تالية ووضع حوله

خمس نساء ليختار من بينهن .. قال له صراحة :

– من تعجبك فيهن يا مرتضى بيه .. من تعجبك خذها ..

ولكنه ليلتها كان لا يزال يعيش شخصية الفلاح فرفض أن يأخذ أى امرأة .. أحس ليلتها بأنه كسول لا يريد أن يبذل مجهوداً مع امرأة .. حتى أن عزيز بعد ذلك قرر أنه ليس من هواة قضاء الليل مع النساء المحترفات فلم يعد يقدم له أى امرأة .. إلى أن طلب مونيكا .. وفرح عزيز لأن مرتضى أصبح رجلا عادياً لا يحيره .. وجاء له بمونيكا

وليلتها حاول مرتضى أن يتقمص الشخصية الجديدة .. شخصية رجل الأعمال .. وتعمد ألا يشرب كثيرا من الخمر حتى لا تغلبه الخمر وينام قبل أن يأخذ مونيكا .. ومونيكا تبذل كل فنونها كامرأة محترفة .. وهمايتضاحكان لأن كلا منهما لا يعرف لغة الآخر ويتبادلان الحديث بالاشارات واللمسات والكلمات الممزقة . ولكنه كان كلما حاول أحس بأنه يفتعل المحاولة .. لا يحس بقوة النشوة كما يحسها مع زوجته فهيمة .. ولكن مونيكا جميلة وهو يحس بتقارب نحوها فليحتفظ بها ، ولا شك أنه سيتردد على فرانكفورت كثيرا ليستوفى العمليات ويريد أن يراها وتكون له كلما جاء .. وجعلها تكتب له عنوانها ، ثم أخرج مبلغاً كبيراً من الماركات وهم أن يعطيه لها .. وقالت فى بساطة :

– لماذا .. إن عزيز هو الذى يدفع دائماً ..

وقال ضاحكاً :

– هذه أيضاً من الأموال التى يدفعها عزيز ..

وتركته مونيكا وهى سعيدة فرحة وقالت :

– أرجو أن أراك قبل أن تتركنا ..

وقال وهو يقنع نفسه بأنه استطاع أن يثبت شخصيته :

– سأحاول ..

ولم يحاول فقد وجد نفسه فى اليوم التالى يريد العودة إلى مصر .. إنه هنا لم يعد يلم بمعلومات أكثر عن العملية .. ربما هناك يستطيع أن يفهم أكثر .. وقابل عزيز الذى فاجأه قائلا :

– لماذا دفعت إلى مونيكا .. إن المكتب يتولى كل هذه النفقات ..

وقال مرتضى ضاحكاً :

– لم أكن أعرف .. إنها امرأة رائعة تستحق ..

وقال عزيز مبتسما وهو ينظر إليه كأنه يتهمه بأنه مغفل :

– لقد خصمت من أتعابها المقررة ما دفعته لها حتى أحتفظ بتقاليد المكتب .. وما دفعته تحت أمرك ..

وقال مرتضى جاداً :

– المهم .. لقد قررت العودة إلى مصر .. ولكنى إلى الآن لا أعرف موعد وصول الآلات التى تعاقدت عليها ..

وقال عزيز فى بساطة :

– إن الشركة ستبلغك بموعد وصول الآلات .. إن العقد ينص على تسليم الآلات « سيف » .. أى فى ميناء فى الاسكندرية ..

وقال مرتضى فى شك :

– كيف تخطرنى الشركة وهى لا تعرف عنوانى فى مصر ..

وقال عزيز وهو يدارى وجهه عنه :

– حتى أنا لا أعرف عنوانك .. إن العملية تتم بحساب شركة عبد الله بهنس وهم يعرفون كيف يتصلون بها ..

وقال مرتضى فى فزع :

ــ وأنا . .

وقال عزيز مبتسما :

ــ المفروض أنك أيضاً تتعامل باسم شركتنا . . والتفاصيل ستجدها فى مكتب القاهرة . .

وامتلأت عينا مرتضى بالحيرة ثم كأنه كتم وقال :

ــ متى تصل الآلات إلينا . .

وقال عزيز وهو يعود ويدارى عنه عينيه :

ــ لا أدرى . . ولكن العقد ينص على التسليم خلال ستة أشهر . متى تسافر إلى مصر يا مرتضى بيه ؟ . .

وقال مرتضى وهو ساهم :

ــ بعد غد . . وهذه تذكرة الطائرة . . أرجو أن تحجز لى مقعداً . . وأريد أن أشترى بعض الأشياء للعائلة قبل أن أسافر . .

قال عزيز مرحاً :

ــ تحت أمرك . . وسأوفد معك أحد الموظفين وسيدلك على كل المحال التى تجد فيها ما تريد شراءه . . وأحب أن أقول لك أن ما تشتريه سيكون ضمن نفقات إقامتك أيضاً . . مكتبنا هو المسئول . . فلا تدفع شيئاً . .

وقال مرتضى وهو ساهم :

ــ شكراً . . هذا كثير . .

وقال عزيز :

ــ لا شىء كثير عليك . . إن التعليمات التى وصلتنى بأن أعاملك معاملة الدرجة الأولى وأتحمل جميع ما تطلبه . .

وخرج مرتضى وهو ساهم . .

إنه لم يكن يدرى أن كل العمليات تتم باسم شركة عبد الله بهنس . . أى أن اسمه لم يرد فى أى ورقة من الأوراق التى يحتفظ بها . . وهو إلى الآن لا يملك أى شىء من الآلاف . . لقد أخذوا كل ما يملكه ووضعوه فى جيبهم . . ربما لن يستطيع الحصول على شىء . . وهو فى القاهرة . ولكن لا . . لماذا يسىء الظن إلى هذا الحد . . إنه لم يكن يستطيع أن يصل إلى الشركة الألمانية إلا عن طريق شركة عبد الله بهنس . . والأموال التى دفعها لم يدفعها غصباً ولم يخدعه فيها أحد . . لقد كان المشروع يعرض عليه وهو الذى يقرر الدفع . . إن شركة عبد الله بهنس تريد أن تدخل عناصر تمويل جديدة فى سوق الاستيراد ولذلك رحبت به . .

والدليل على ترحيبها أنها تولت كل نفقاته فى فرانكفورت حتى ثمن شراء ما يريده . . لو كانت تخدعه أو تنصب عليه ما كانت لتضحى بكل هذا من أجله . . ولاشك أنه سيجد كل حقوقه فى انتظاره عندما يصل إلى القاهرة . .

وأخذ يطوف بالمحال التجارية مع الموظف الذى كلف بمرافقته . . إنه يريد أن يشترى هدية لزوجته فهيمة . . ولكنها لن تفهم شيئاً من كل هذه المعروضات النسائية . . إنها لا تلبس مثل هذه الفساتين ولا حتى تلبس مثل الغيارات الداخلية . . وأخيرا اشترى لها قرطاً ذهبياً عريضاً . . ستفرح بهذا القرط وهى تقدر الذهب كأنه أغلى من الماس . . ثم عاد واشترى قطعاً من الأقمشة لها ولأخواتها لتفصيلها على النمط الفلاحى . .

واشترى لعبد الرازق ساعة يد وأعجبته الساعة فاشترى لنفسه أيضاً ساعة . . ثم اشترى لنفسه بدلة أخرى وحذاء آخر . .

ولكن . . هل يشترى لأمه ولأخته . . لا . . إنه سيثير شبهاتهما ويثير تساؤلهما من أين جاء بثمن هذه الأشياء ، ولماذا سافر إلى فرانكفورت . . ورغم ذلك اشترى لهما قطعاً من القماش على أن يحتفظ

بها إلى أن تعود العلاقات طبيعية بينه وبين أهله .

والموظف الذى يصحبه يدفع فى صمت . . إنه لا يدفع بالماركات ولكنه يوقع أوراقاً كأن المكتب له حساب فى كل محل . . وجاء كل موظفى المكتب يودعونه ساعة السفر كأنه وداع رسمى لأحد كبار المسئولين . . وصافحهم مرتضى وهو منفوخ بإحساسه بأهميته . . ثم قبل عزيز مرسى . . لقد أحب عزيز . . إنه رجل خفيف الظل ملأ كل أيامه بالبهجة ولم يحصره فى الزيارات الرسمية . .

وفى الطائرة فتح الحقيبة الأنيقة وأخذ يراجع كل الأوراق التى جمعها . . إنه يحاول أن يفهم ولكنه لا يفهم شيئاً . . حتى لو لم يكن يفهم فهى أوراق تؤكد أنه دفع أموالا فى مشروع شراء آلات الحفر .

وأغلق حقيبته ووجد نفسه يحسب ما بقى له . . لم يبق له شىء . . إن فى جيبه بضعة ماركات ألمانية وبضعة فرنكات سويسرية لا تساوى كلها أكثر من عشرة جنيهات . . ثم إنه لم يعد له حساب فى بنك الرخاء الوطنى . . لقد حول كل ما كان له فيه إلى مكتب شركة عبد الله بهنس . . فى فرانكفورت . . كان يعتقد أن هذه هى الوسيلة الصحيحة للعملية . . ثم إنه ترك نقوداً فى بيته فى كفر الجبل . . ولكن كل ما تركه لا يتعدى الخمسمائة جنيه باقى المبالغ التى أخذها من محروس . .

كيف يستطيع أن يعيش إلى أن تصل الآلات ويبدأ فى استغلالها . . على كل حال لقد مرت عليه سنوات وهو لا يملك ولا مليما وكان معتمدا فى حياته على وفاء عبد الرازق . . ولكنه لن يعود إلى هذه الأيام . . إنه يستطيع أن يقترض من عبد الله بهنس . . على حساب استغلال آلات الحفر . . وفى أسوأ الأحوال يستطيع أن يعود إلى الاعتماد على محروس ويخطط له للقيام بعملية سطو أخرى . . ولكن أى بيت يختاره له هذه المرة . . يجب أن يفكر حتى يصل الى الاختيار الصحيح .

ووصلت الطائرة إلى القاهرة . . وركب سيارة أجرة وهو يأمرها فى

تعجل أن تذهب به إلى بيته فى كفر الجبل . . إن الطريق طويل وهو يعيش فى فرحة غامرة . . فرحته بالعودة إلى القاهرة وإلى بيته وإلى فهيمة زوجته . .

واستقبلته الأرض بفرحة غامرة كأنه فعلا السيد الذى عاد من غربته . . واحتضنه عبد الرازق مقبلا كأن فرحته لا تطيق التقيد بالرسميات وقال وكأنه يهم أن يبكى من فرحته :

— الحمد لله على السلامة ياسى مرتضى . . الحمد لله على السلامة يا ابنى . .

واستقبلته فهيمة وبين شفتيها ابتسامة كانت تبخل بها دائما عليه وقالت فى خجل :

— الحمد لله على السلامة ياسى مرتضى . .

وهم أن يحتضنها ويقبلها ولكن غلبته تقاليد الفلاحين . . لا يصح أن يقبل زوجته أمام الناس . . وشد على يدها وهو يقول فى فرحة الحب :

— وحشتينا يا فهيمة . . وحشتينا يابت . .

وجاءت كل العائلة ترحب به رغم أنهم لم يتعودوا أن يلتفوا حوله بكاملهم . . أم فهيمة وإخوتها . . وكلهم تطل الفرحة من عيونهم . . .

ودخل بسرعة إلى غرفته ووراءه فهيمة وخلع بذلته كأنه ينزعها عن جلده وارتدى الجلابية . . وأحس بعد ارتدائها بالراحة . . كأنها أول مرة يرتاح فيها بعد العشرين يوما التى قضاها فى أوربا . . ونظر إلى فهيمة ثم أخذها بين أحضانه يربت عليها ويضمها فى شوق وهو يكرر :

— وحشتينا يابت . .

ثم جذبها من يدها وألقى بنفسه على الأريكة الواسعة فى الصالة

وهو يتنهد كأنه يزفر أنفاس التعب . . إنه على هذه الأريكة تعود أن يستريح . . لا يحس براحته أبدا . . بل لا يحس بنفسه إلا على هذه الأريكة . . وقال لفهيمة من خلال تنهداته :

ـ اذهبي وعودى مع أبيك وأمك وإخوتك يابت . . وهات الحقيبة الكبيرة أولا . .

وجاءوا حوله ، وفتح الحقيبة وأخذ يوزع الهدايا التى جاء بها ، وكل منهم مبهور بما يناله . . حتى فهيمة المتحفظة جرت إلى الداخل ووضعت القرط فى أذنيها وعادت وهى تقول كأنها تزغرد :

ـ ربنا يخليك لنا ياسى مرتضى . . وربنا يخليك ياجوزى . .

وانفضوا من حوله وهو لا يقوم من فوق الأريكة وأبقى عبد الرازق بجانبه يحدثه عن أخبار الأرض . . ولكن لا أخبار . . إن كل من يغيب يومين عن مصر يخيل إليه أن شيئا حدث فى مصر ثم يعود ليجد أنه لم يحدث شيء . .

وجاءت فهيمة وأمها بطعام العشاء . . إنها صينية مزدحمة أكثر مما تعود . . وعليها الكثير من الفطير المشلتت . . ونظر مرتضى الى الفطير فى بهرة . . إنه يحب الفطير المشلتت ، ولكن عبد الرازق كان يبخل عليه ولايدع ابنته تصنعه له . . إنه قمة كرم وفرح الفلاحين . . وقال مرتضى فى فرحة :

ـ متى فكرتم فى الفطير المشلتت ؟

وقالت فهيمة مبتسمة والقرط الذهبى يلمع حول أذنيها :

ـ منذ أن وصلت وأمى تعمل المشلتت فرحة بك وبوصولك سالما . .

وقال مرتضى وهو يمد يده فى لهفة إلى الفطيرة :

ـ تسلم يد أمك . . ويدك . .

وأكل كأنه يأكل طوال العشرين يوما التى غابها . . وقام إلى

حجرته وفهيمة وراءه . . وأخذها بين أحضانه وعيناه تلمعان بهذا البريق الذى ينطلق كلما رأى وجهها . . وثار فيه إحساسه كله . . الاحساس الذى لم يثر فيه مع مونيكا ولا مع غيرها من النساء اللاتى كان يقدمهن له عزيز مرسى . . إحساس السيد الذى يأخذ كل ما يريد . .

وكل ما يريد لا تستطيع أن تقدمه له إلا فهيمة . .

★★★

(١٦)

وقضى مرتضى يومين فى البيت كأنه يسترد أنفاسه . . بل إنه يسترد شخصيته ويسترد ذكاءه ، إن شخصيته تضيع ، وذكاءه يخفت كلما خرج من هذا البيت . . وبدأ يخطط للخطوة التالية . . وتذكر أن عبد الله بهنس لم يرسل له أحدا يستقبله فى المطار مع أن مكتبه فى فرانكفورت لا شك قد أبلغه بسفره وبموعد وصوله . . ولكن لا يهم . . لا شك أن دواعى العمل لا تتطلب هذه الرسميات ، وربما كان عبد الله بهنس نفسه يسافر ويعود دون أن يكون فى وداعه أو استقباله أحد . .

وارتدى حلته وحذاءه الجديد وحمل حقيبته الأنيقة ثم استدعى سيارة أجرة . . إنه يجب أن يحسب حسابه على أن يشترى سيارة . . إن أعماله لم تعد تتحمل سيارات الأجرة . . وفى الطريق أوقف السيارة عند مقهى يعرفه ونزل ليتحدث فى التليفون . . إن أشد ما يتعبه ويعطله أن ليس فى بيته تليفون . . سيسعى من اليوم لادخال تليفون إلى بيته . . ورفع سماعة التليفون فى المقهى وطلب عبد الله بهنس فى مكتبه . . إنه يعرف كل نمر تليفونات بهنس . . ورد عليه السكرتير :

ـ من حضرتك ؟

وأجاب مرتضى فى اعتزاز وتفاخر :

ـ أنا مرتضى السلامونى . .

وأجاب السكرتير بسرعة :

ـ آسف . . عبد الله بيه ليس موجودا . .

وقذف سماعة التليفون مرة واحدة كأنه يقذفها فى وجه مرتضى . . وتضايق مرتضى كأنه أهين ، ولكنه عاد وطلب عبد الله بهنس فى بيته العائلى . . ليس موجودا . . وعاد وأدار رقم تليفون بيت بهنس فى شبر امنت رغم أنه يعلم أنه لا يذهب إلى هناك إلا يوم الخميس واليوم ليس يوم الخميس . . ولم يجده . .

وقال مرتضى لنفسه كأنه يخفف من شكوكه . . إن عبد الله بهنس دائما مشغول ولا يستقر فى مكان . . إن يومه كله يقضيه فى اللف والدوران على أصحاب التوقيعات من كبار الرسميين . . ولكنه سيذهب إلى الشركة ويقابل الدكتور سعيد زهدى ليصل معه إلى وضع الاجراءات التى تطمئنه . .

وفى مكتب سعيد زهدى لم يفتح له السكرتير مباشرة كما كانت العادة قبل أن يسافر ، بل طلب منه أن يتفضل بالجلوس إلى أن يستأذن الدكتور سعيد لأنه فى اجتماع هام . . ومرت دقائق طويلة وهو جالس وأعصابه تتلوى فى داخله ، وبعد أكثر من ربع ساعة فوجىء بالدكتور سعيد يخرج ولا يدعوه للدخول إلى مكتبه بل يجلس بجانبه فى غرفة السكرتير وهو يقول بصوت بارد وعيناه تطلان فى استهانة من خلف نظارته السميكة :

ـ الحمد لله على السلامة يا أستاذ مرتضى . .

وقال مرتضى فى دهشة :

ـ ألن تدعونى إلى دخول المكتب ؟

وقال الدكتور سعيد مستهينا :

ـ إن مكتبى مشغول ونستطيع أن نقول هنا كل شىء .

وتحامل مرتضى على نفسه حتى لا يثور وقال وهو يحاول أن يبتسم :

ـ لعلك سمعت بما تم فى فرانكفورت . . لقد أضفت إلى رأس المال عشرة آلاف أخرى . . وأريد أن أعرف الآن موعد وصول البضاعة وإجراءات تسلمها ثم التصرف فيها . .

وقال الدكتور سعيد فى برود :

ـ آسف ليس هذا من اختصاصى . .

وصاح مرتضى فى صوت خافت حتى لا يسمعه السكرتير :

ـ كيف لا يكون من اختصاصك . . لقد بدأت العملية كلها معك وبمشورتك . .

وقال الدكتور سعيد مقاطعا :

ـ إن كل اختصاصى هو إبداء الرأى لمن يريد رأيى . . أما الاجراءات التنفيذية فلا شأن لى بها . . ليست من اختصاصى . .

وقال مرتضى وهو يرتعش :

ـ اختصاص من إذن ؟

وقال الدكتور سعيد وهو يمد له يده مودعا :

ـ من اختصاص مكاتب الاستيراد . . تستطيع أن تصل بمدحت بيه قرنى وهو يدلك على ما تريد معرفته . . مع السلامة . .

وهز الدكتور سعيد يد مرتضى فى حركة آلية ثم تركه ودخل مكتبه وأغلق الباب وراءه دون أية كلمة حلوة ولا كلمة وداع . .

وتحامل مرتضى على نفسه أكثر . . وهو فى دخيلة نفسه يلعن خاش الدكتور سعيد . . وأخذ يطوف بمكاتب الشركة إلى أن وجد مكتب مدحت قرنى . .

واستقبله مدحت بروح أصفى من روح الدكتور سعيد ودعاه إلى الجلوس وهو يبتسم ابتسامة كبيرة بل إنه طلب له أيضا فنجان قهوة .

وأخذ مرتضى يشرح لمدحت كل ما يمر به وكل تفاصيل العملية إلى أن قال له مدحت :

ــ نحن نعرف كل شىء . .

وقال مرتضى وفرحة الأمل تراوده :

ــ ماذا يمكن أن أقوم به من جانبى عند التسليم والتشغيل . .

وقال مدحت مبتسما ابتسامة حانية وكأنه يشفق عليه :

ــ لا أستطيع أن أقول لك الآن فنحن فى انتظار أن يتصل بنا مكتب فرانكفورت وعندما يتصل بنا سنتصل بك . .

وقال مرتضى وهو تائه فى حيرته :

ــ كيف تتصلون بى ؟

وقال مدحت فى اختصار :

ــ اترك رقم تليفونك .

وقال مرتضى فى حسرة :

ــ ليس عندى تليفون خاص . .

وقال مدحت فى زهق :

ــ اترك عنوانك وسنرسل إليك بمجرد أن تصلنا معلومات من فرانكفورت . .

والتقط مرتضى ورقة وقلما وكتب عنوانه فى كفر الجبل ، وقال وهو

يسلم الورقة لمدحت :

ــ إن هذه هى أول عملية استيراد أقوم بها ولذلك فإنى فى حاجة قصوى إلى معاونتكم واهتمامكم . .

وقال مدحت وهو يقوم واقفا مصافحا معلنا أن الزيارة قد انتهت :

ــ أطمئن . . سنتصل بك . .

وخرج مرتضى وهو منهار ، وكل خلجة من خلجاته تقرصه . . هل يمكن أن يكون عبد الله بهنس قد استدرجه إلى هذه العملية حتى يستولى على كل أمواله . . ربما اكتشف بهنس أنه هو الذى أخذ منه الثلاثين ألف جنيه فأراد أن يستردها بعملية نصب كبيرة . . وماذا يفعل هو إذا كان هذا صحيحا . . إنه يستطيع أن يحمل الأوراق التى معه إلى أحد المحامين ويتقدم بها إلى القضاء حتى يسترد حقه . ولكن لا شك أن بهنس حسب حساب هذه الأوراق فلم يترك له ورقة يثبت بها حقه . . لعل الطريق الوحيد هو أن يعود ويستعين بمحروس . ولكن أين محروس الآن . . كيف يجده . . لقد عزله من خدمته فى آخر مرة . . قال له أنه لن يشاركه فى أى عملية أخرى . . يجب أن يجد طريقه إلى حقه . . ولكن كيف . .

ومرت ثلاثة أسابيع ولم تتصل به شركة عبد الله بهنس . . وكان يذهب إلى الشركة كل بضعة أيام فلا يستقبله أحد . . حتى ولا مدحت قرنى الذى اعتقد أنه إنسان مهذب أمين . . كلهم يرفضون لقاءه . .

وفى يوم ذهب إلى مكاتب شركة عبد الله بهنس وظل واقفاً فى الطريق أمام الباب إلى أن وجده يدخل . . عبد الله بهنس نفسه . . وانتظر دقائق ثم دخل الشركة وصعد إلى المكتب وقال للسكرتير فى لهجة عنيفة :

— إنى أعرف أن البيه فى المكتب وأنه ليس فى اجتماع . . ورغم ذلك فقد يرفض لقائى فخذ له هذه الورقة . . دعه يقرؤها وأنا فى انتظار الرد . . حالا . .

وكان مرتضى قد كتب على الورقة : إذا كنت لا أستطيع لقاءك فهناك وسائل أخرى لاسترداد حقى ستضطرنى إلى استعمالها . .

ودخل السكرتير بالورقة ثم عاد بعد دقائق يقول لمرتضى :

— البيه فى انتظارك يوم الخميس القادم . . فى بيته بشبرامنت . . الساعة التاسعة مساء . .

ونظر إليه مرتضى وعيناه متسعتان من الدهشة . . لماذا يريد مقابلته فى بيته فى شبرامنت . . وفى الساعة التاسعة . لماذا لا يستقبله فى مكتبه الآن . . ربما يدبر له مكيدة هناك . . ربما ينوى التخلص منه حتى يسكت إلحاحه . . ولكن . . إن عبد الله بهنس لا يمكن أن يصل فى عملياته إلى حد القتل للتخلص من أعدائه . . ربما كان يريده هناك لمجرد أن يعتبر الموضوع بينهما موضوعاً خاصاً ليس مكانه المكتب الرسمى . .

وانتظر مرتضى وهو يحترق بنار الشك وأعصابه الثائرة حتى أصبحت زوجته فهيمة تهرب منه وأبوها عبد الرازق يدعو له أن يرحمه الله دون أن يعلنه بدعوته . .

وفى مساء الخميس صحب معه عبد المحسن الخفير حاملا بندقيته وذهب إلى بيت عبد الله بهنس فى شبرامنت . . وفتحت له جميع الأبواب فوراً . . لا شك أن عبد الله أصدر تعليماته باستقباله . . وقد استقبله وحيداً مبتسما ابتسامته الكبيرة التى عرف بها وفى يده كأس كأنه يبدأ بها سهرة ممتعة . . وقال له مهللا :

— أهلا مرتضى . . كنت أريد أن أراك من زمن ولكنك تقدر المسئوليات . . وقد سمعت أنك غاضب . . لماذا . . ماذا أغضبك . .

ونظر إليه مرتضى بعينين مرتعشتين وقال :

— إنى فى انتظار الآلات التى دفعت ثمنها ولا أحد يريد أن يبلغنى شيئا عنها .

وقال عبد الله ضاحكاً :

— الآلات وصلت وسيتم تشغيلها خلال أيام . .

وصاح مرتضى :

— إنها ملك لى أنا ولم أعرف شيئاً عن وصولها . .

وقال عبد الله فى برود :

— إنها ملك الشركة ولا شأن لك بها حتى تعرف عنها شيئاً . . .

وعاد مرتضى يصرخ :

— أنا الذى دفعت ثمنها . . خمسين ألف جنيه .

وقال عبد الله دون أن يهتم بصراخ مرتضى :

— إن ثمنها ربع مليون جنيه على الأقل . .

وقال مرتضى وهو يرتعش :

— حتى لو كان ثمنها ربع مليون فإن ما دفعته يعتبر نصيباً لى فيها . . وعندى الأوراق التى تثبت كل حقى . .

وقال عبد الله من خلال ابتسامته الواسعة :

— إن كل ما معك من أوراق لا يثبت إلا أنك مندوب عن الشركة فى تحويل المبالغ . . وكل ورقة فى يدك محسوب حسابها حتى لا تسجل لك حقاً . .

وعاد مرتضى يصيح :

— هل أخذتم منى أموالى ؟

وقال عبد الله وهو يرفع الكأس إلى شفتيه :

ــ لا . . كل ما حدث هو أنى استعدت أموالى التى سبق أن أعطيتها لك . . استعدتها مع الفوائد . اجلس يا مرتضى ودعنا نتحدث فى هدوء . . خذ . اشرب .

وناوله كأساً حمله مرتضى وجلس على المقعد وهو يقول :

ــ ما هو الذى استعدته . . إنى لا أفهمك . .

وجلس عبد الله فى مواجهته قائلا :

ــ صدقنى أنى أعجبت بالعملية التى قمت بها . . عملية السطو على الخزانة التى كانت فى هذا البيت . . وكان يمكن أن تسمى لصاً . . ولكنك لست بلص لأنك لم تسرق بيديك . . وهذه هى طبيعة كل رجال الأعمال . . يسرقون ولكن ليس بأيديهم ، ولذلك لا يعتبرون لصوصاً بل يعتبرون من رجال الأعمال . . والخطأ الوحيد الذى قمت به هو أنك فهمت أنى صدقتك عندما قلت لى أن جماعة أخرى هى التى تولت السرقة . .

وقال مرتضى مذهولا :

ــ أنا لم أسرق ولم أتعامل مع لصوص . .

وقال عبد الله من خلال ابتسامته :

ــ يا رجل . . كن صريحاً معى حتى تتعلم مما سأقوله . . ولا تخف فأنا لن أتسبب فى القبض عليك أو إيذائك وأنت الذى رسمت خطة السطو على بيتى . . وكل ما سعيت إليه أنا هو أن أقوم بعملية للرد عليك أسترد بها أموالى ، ورجل الأعمال لا يضيق بالهزيمة ولا يكتفى بالنصر . . وأنت المهزوم . . وأنا المنتصر .

وقال مرتضى وقد بدأ يضعف حتى يكاد يبكى :

ــ حتى لو كان ما تقوله صحيحاً . . فإن ما دفعته يزيد عما

أخذته منك . . لقد وصلت إلى حد أن بعت تحفة كان أبى قد تركها لى . .

وقال عبد الله ضاحكاً :

ــ تقصد المشبك الماس . . أنا الذى اشتريته منك . .

وصرخ مرتضى من خلال دهشته :

ــ لقد اشتراه رجل ألمانى اسمه الهربرخت .

وقال عبد الله وهو مستمر فى الضحك :

ــ لقد كان برخت مجرد صورة . . وقد اتصلوا بى من فرانكفورت وقالوا لى أنك تريد أن تبيع مشبكاً ماسياً فطلبت منهم أن يشتروه وأنا واثق أنك ستضع ثمنه فى عملية آلات الحفر . . إنى أستعد للثمن مهما دفعت !!

وقال مرتضى وهو مبهور الأنفاس :

ــ هل المشبك عندك الآن . .

وقال عبد الله وهو منفوخ بعظمته :

ــ إنى أحتفظ به فى الخارج . . وقد أرسلوا لى صورته . . وإنى أنتظر الفرصة المناسبة لأعيده إلى صديقى راجى معتز . .

وقال مرتضى وهو يزداد انهياراً :

ــ لماذا راجى معتز ؟

وقال عبد الله مبتسماً :

ــ لأنه صاحبه . . وقد رأيت هذا المشبك على صدر زوجته نسليار هانم أكثر من مرة . . وسأنتظر فرصة عمل مع راجى وأعيده إليه بطريقة ما . . لا شك أنه سيفرح به مما يسهل أى عملية بينى وبينه . .

وصرخ مرتضى :

ــ أنت تعرف أن نسليار كانت زوجتى وقد أهديتها هذا المشبك بعد الزواج .. كان والدى هو الذى أهداه لها .. إن المشبك كان من أملاك أبى .

وقال عبد الله وهو يفتعل الرثاء :

ــ رحم الله الوالد .. إنك لم ترث عنه الشطارة والذكاء .. لقد كان صريحاً وكل العمليات تتم معه بصراحة .. خذ وهات .. وقد ظلموه عندما قبضوا عليه وطردوه .. إن ما كان يأخذه منى أو من غيرى لم تكن رشاوى يعاقب عليها القانون ، ولكنها كانت مشاركة فى الربح .. أنا أكسب عشرين مثلا ويكسب هو من نفس العملية عشرة وأحياناً لا ينال سوى خمسة .. وأى رجل مسئول يوقع بأمضائه لتنفيذ عملية وهو يعلم أنها ستحقق ربحاً طائلا فكيف يتركنى أربح من وراء توقيعه مائة ألف ومرتبه الذى يأخذه نظير التوقيع لا يتجاوز مائة جنيه .. يجب أن يأخذ حقه .. وقد تعودت أن أعطى جميع الموظفين حقوقهم التى يسمونها رشاوى .. إن البيت الذى تقيم فيه فى كفر الجبل أنا الذى بنيته هدية لأبيك .. وقالوا عنى أيامها أنى أغالى فى مجاملة أبيك .. ولكنى لم أكن أغالى .. إن هذا البيت كلفنى عشرة آلاف فقط فى حين أن العملية التى أخذتها من أبيك أيامها خرجت منها بأكثر من مائتى ألف جنيه مكسباً ..

وقال مرتضى وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

ــ ولكنك تخليت عن أبى بمجرد أن خرج من وظيفته .. لم تحاول إنقاذه ولو بكلمة .

وقال عبد الله بسرعة :

ــ أنا لست عاطفياً .. لقد تأثرت بما حدث لأبيك ولكنى لا أستطيع أن أفعل شيئاً ، فقد حل بعد أبيك موظف آخر من كبار

المسئولين واستطعت أن أكسبه وأحله محل أبيك فى تسهيل أعمالى .. أنا إنسان أستسلم للواقع حتى أضمن النجاح .. إنك تقول الآن أن المشبك الماس كان ملكاً لأبيك ولك ولكن الواقع يقول أنه ملك لراجى معتز .. ويجب أن أعترف وأستسلم للواقع ..

وقال مرتضى فى استعطاف :

ــ إذا اعترفت بالهزيمة .. وسلمت لك كل ما تقول بأنى أخذته منه فلا شك أنك ستعيد لى باقى المبلغ .. لقد أخذت منك ثلاثين ألفاً ودفعت خمسين ألفاً فأعد لى الفرق وأنا أعدك أن أبتعد عنك نهائياً ..

وقال عبد الله فى جدية :

ــ لا يمكن .. إن الباقى يعتبر فوائد لما أخذته منى .. ثم إنى لا أقسم عملية ناجحة قمت بها .. وأخيراً فإنى أريد أن ألقى عليك درساً حتى لا تفكر مرة ثانية فى الاستهانة بعبد الله بهنس ..

وقال مرتضى وقد بدأ يحاول أن يسترد ذكاءه :

ــ إذا أردت أن تعلمنى درساً فلا تنس أن هناك صوراً للأوراق السرية التى كانت فى خزائنك .. لا أريد أنا الآخر أن ألقى عليك درساً باستغلال هذه الصور ..

وقال عبد الله مبتسما :

ــ إن هذه الصور أصبحت عندى ..

صرخ مرتضى وهو ينتفض واقفاً :

ــ لا يمكن .. كيف حصلت عليها إذا كان كلامك صادقاً .

وقال عبد الله فى هدوء :

ــ الجماعة جاءونى ..

وقال مرتضى مرتعشاً :

ــ أى جماعة ؟

وقال عبد الله فى هدوء :

ــ جماعة محروس . .

وسقط مرتضى على مقعده وهمس فى صوت مرتعش :

ــ هل عرفت محروس . .

وقال عبد الله وقد اتسعت ابتسامته :

ــ عرفته . . إنه من أذكى الرجال . . وهو يعتبر الآن من رجالى . .

قال مرتضى والدهشة تغلب إحساسه بالمصيبة :

ــ كيف وصلت إلى محروس ؟

وقال عبد الله ضاحكاً :

ــ بسيطة . . كنت قد وضعت حولك حراسة منذ قمت بالسطو على بيتى . . حراسة سرية خاصة . . فأنا لا أعتمد على البوليس ولا على الحكومة فى أعمالى . . وقد اكتشف رجالى محروس وهو يتسلل إليك فى الليل . . وتتبعوه . . ثم استطاعوا أن يكسبوا صداقته . . وبعد أن سافرت كان محروس غاضباً منك لأنك أعلنته بالاستغناء عنه . . وقد أشعل رجالى غضبه بأن أبلغوه بأنك بعت أوراقى إلى بثلاثين ألف جنيه . . إنك أخفيت عنه . . ولم يأخذ نصيبه من المبلغ . . وقد استطاع رجالى أن يستغلوا غضبه وطلبوا منه أن يسطوا على بيتك ويعود بالصور التى كنت قد صورتها لأوراقى . . واشترطوا عليه ألا يأخذ إلا صور الأوراق رحمة بك من أن يسطو على كل ما تملك ، وقد عوضته عن نصيبه الذى حرمته منه ، ودفعت له خمسة آلاف ، كاد يطير من فرحته بها . .

وسرح مرتضى برهة . . لقد نسى هذه الصور التى التقطها لأوراق بهنس السرية . . نسيها تماما . . لأنه اعتقد أنه لم يكن فى حاجة إليها . . حتى قبل أن يسافر لم يطمئن على وجودها فى دولابه وبعد أن عاد لم يفكر فى البحث عنها فى دولابه للاطمئنان عليها . .

واستطرد عبد الله قائلا وهو مزهو بنفسه :

ــ لقد فوجئت وأنا أراجع الصور بأنى وجدت بينها أوراقاً خاصة براجى معتز الذى سطوت على بيته بعد بيتى . .

وقاطعه مرتضى قائلا فى قرف :

ــ لقد وجدتها أوراقاً تافهة لا تساوى شيئاً . . مجرد جواز سفر وأوراق رسمية وأوراق أخرى لم أفهم شيئا منها . .

وقال عبد الله بهنس ضاحكاً :

ــ إنك مازلت مبتدئاً لا تستطيع أن تفهم قيمة أى ورقة . . إن الأوراق التى أخذتها من بيت راجى أوراق هامة استفدت أنا منها فى أكثر من عملية . .

وقام مرتضى واقفاً وهو يقول فى انهيار :

ــ المهم يا سعادة البيه ماذا تريد أن أفعل الآن . .

وقال بهنس وهو يقوم واقفاً احتراماً له :

ــ إنى أريدك أن تكون رجل أعمال ناجحا كما كان أبوك رحمه الله . . واعتبر نفسك خسرت فى عملية قمت بها . . كأنك خسرت فى مضاربات البورصة أو فى صفقة من الصفقات . . كلنا معرضون للخسارة . . وكلنا خسرنا وبدأنا من جديد حتى يعوضنا الله . . وأنا شخصياً فكرت فى أن أساعدك وأكلفك ببعض العمليات ولكنى فى حاجة إلى وقت حتى أطمئن إليك . . ولكنك كلما أردت شيئاً تستطيع أن تقابلنى . .

وقال مرتضى وهو ساهم :

ـ هل أستطيع يا سعادة البيه أن أسألك عما قاله محروس لك .. لعله يفكر فى الانتقام منى ..

وقال عبد الله بهنس وهو ينظر إليه نظرة رثاء :

ـ إنى لم أقابل محروس .. ليس من حقه أن يقابلنى .. لقد أصبح يعمل عندى بمرتب ثابت علاوة على نصيبه فى العمليات التى يكلف بها .. ورغم ذلك فليس من حقه أن يقابلنى .. إنى بالنسبة له سأظل شبحاً يحسب حسابه ويخافه دون أن يعرف شيئاً عنى .. هذه هى أصول وتقاليد العمل .. ولا أظن أنه يفكر فى الانتقام منك .. إنه كسب من ورائك الكثير .. فلولاك لما وصل إلى أن يكون موظفاً لدى .. ثم إنه لا يستطيع أن يقوم بأى عملية دون موافقتنا .. ونحن لا نفكر فى الانتقام منك .. لماذا ننتقم منك .. لقد كانت عمليتى معك عملية ناجحة مائة فى المائة .. وبإذن الله قد أساعدك يوماً فى عملية ناجحة .

وتقدم مرتضى ورأسه منكس فوق صدره يصافح عبد الله بهنس .. وصافحه عبد الله وهو يربت على كتفه قائلا :

ـ شد حيلك .. وتعلم كيف تكون رجل أعمال ..

وعاد مرتضى إلى البيت وهو يقاوم انهياره .. لعل عبد الله بهنس كان صادقاً فيما قاله .. إن رجال الأعمال عرضة للخسارة إلى حد الافلاس .. وهو قد أفلس كأى رجل أعمال وعليه أن يبدأ فى عملية جديدة .. وسيضطر أن يبدأ بلا محروس .. إن محروس أصبح فى مركز هام ولن يعمل مع مرتضى بعد أن أصبح يعمل مع بهنس .. وهو لن ينتقم منه لأنه كما قال بهنس استفاد أكثر من الابتعاد عنه .. ولا يجب أن يخاف بهنس .. إنه لا يمكن أن يبلغ عنه البوليس أو يثير ضجة .. لأن ما يمسه يمس بهنس أكثر .. كلاهما لص .. ولكن أحدهما لص واع .. والثانى لص خائب ..

ودخل مرتضى إلى البيت وجرى إلى دولابه .. إنه بعد أن عاد من الخارج وجد الدولاب مغلقاً بالمفتاح وربما كان هذا هو ما لم يثر شكوكه .. وهو الآن مغلق بالمفتاح أيضاً .. وفتحه ومد يده يبحث عن الصور التى كان يحتفظ بها فلم يجد منها شيئاً .. لم يجد أى ورقة من الأوراق التى كان يحتفظ بها .. لقد كان محروس ذكياً ولم يترك الدولاب إلا بعد أن أغلقه بالمفتاح .

★ ★ ★

وعادت الأيام كما كانت قبل أن يقدم على أى عملية .. يجلس فى البيت فى انتظار عبد الرازق أو الخفير عبد المحسن ليسلياه ويقطع معهما الوقت .. وعبد الرازق عاد وأصبح هو المسئول .. يتكفل بإعداد الطعام له ويتحمل نفقات البيت .. ومرتضى يجب أن يستغنى عن سجائر المالبورو .. ويتعود على سجائر كيلوباترا .. حتى يخفف العبء عن عبد الرازق .. على كل حال فإن عبد الرازق يتحمل اليوم عبء ابنته وزوج ابنته .. إنهم عائلة واحدة .. وهو إنما يواسى نفسه .. لماذا يغضب .. لقد قضى أياماً حلوة أثناء العملية .. كان لديه من الأموال ما يدفع قيمته إلى مستوى السيد .. بل إنه أيامها استطاع أن يدفع المهر الذى تزوج به فهيمة .. ثم إنه سافر إلى الخارج وقضى أياماً وليالى ممتعة .. وقد وصل إلى كل ذلك دون أن يخسر شيئاً ، وهو إلى الآن لم يخسر شيئاً ويكفيه أن زوجته فهيمة بجانبه ..

وقام ذات صباح يتمشى على الأرض كعادته ومر بدار عبد الرازق ورأى زوجته وأمها وإخوتها ملتفين حول الفرن وهم منهمكون فى خبز فطيرة كبيرة يغطى عجينها لوحة الفرن كلها ..

وقال مبتسما :

ـ ماذا تفعلون .. ما هى المناسبة لكل هذا الكم .. ؟

وقالت الأم فى فرحة :

ـ الليلة زفة ابنة أختى . . ونحن نعد لها الفطير المشلتت لكى نقدمه لها فى الصباحية .

وطار عقل مرتضى أمام الفطير المشلتت . . إنه أطعم فطير ذاقه أى إنسان . . وهو يعلم أن عائلات كثيرة من عائلات المجتمع الراقى تجرى وراء من يعرفونهم من أصحاب الأراضى والفلاحين ليرسلوا لهم الفطير المشلتت ويمتعوا به مذاقهم وبطونهم .

لماذا لا يفتح مطعما راقياً يقدم لزبائنه الفطير المشلتت . .

إن فى شارع الهرم مطعما متخصصاً فى تقديم الفراخ المشوية . . ومطعما آخر متخصصاً فى تقديم الأسماك . . ومطعما متخصصاً فى تقديم الخراف المشوية . . لماذا لا يبتكر مطعما لتقديم الفطير المشلتت . . ويحيل بيته . . أو السراى . . إلى مطعم . . وتتولى فهيمة وأمها صنع الفطير وتقديمه . .

لا شك أنه مشروع ناجح . . وكثير من رجال الأعمال يبدأون بافتتاح مطعم صغير . . إن المليونير الشرنوبى بدأ ـ أيام كان صاحب محل بقالة ـ وقد أصبح الآن أكبر بقال فى مصر وأصبح يستورد ثمانية فى المائة من السيارات التى تباع فى مصر . . والمليونير بديع رفعت بدأ جرسوناً فى أحد الفنادق ثم وصل إلى أن أصبح صاحب فندق ثم عدة فنادق . . و . . لماذا لا يبدأ هو بافتتاح مطعم فطير مشلتت . . إنها فكرة جديدة ستجذب كل أثرياء البلد .

ولكنه فى حاجة إلى رأس مال صغير ينفقه على تحويل البيت إلى مطعم عام . . ويقيم به عدة أفران ليغطى مطالب الفطير المشلتت .

ليعرض المشروع على عبد الله بهنس . .

لا شك أنه سيرحب به . .

(تمت)